وحدة البحث
في علوم الإنسان للدراسات
الفلسفية، الإجتماعية والإنسانية

UNITÉ DE RECHERCHE SCIENCES DE L'HOMME ETUDES PHILOSOPHIQUES SOCIALES ET HUMAINES

23

سلسلة أبحاث دكتورالية

العقلانية الأخلاقية وفلسفة الولاء
عند جوزايا رويس

د. كمال نويبي

د. كمال نويبي
العقلانية الأخلاقية وفلسفة الولاء عند جوزايا رويس

العقلانية الأخلاقية وفلسفة الولاء
عند جوزايا رويس

يقدم لنا "رويس" منهج أخلاقي جديد مجدد للأخلاق وموفق للمذاهب الأخلاقية السائدة. فقد نبتت الاخلاق المثالية في فوضى المثل العليا، والتشاؤم الخلقي، وظلام الشك، الذي ساد في القرن التاسع عشر، وظهرة المثالية المخلصة متمثلة في البصيرة الخلقية، التي ترشد الانسان للخيرية، والانسجام، والوحدة بين الافراد، وبين الغايات المتصارعة، فترشد الانسان نحو المثل الاعلى، والذي حسب "رويس" لا يستمد قيمته من العاطفة ولا من الواقع، بل يستمدها من ذاته ومن كل شك يوجه إليه، فكان الشك أولى مراحل البصيرة الخلقية، فيرى الانسان غاياته تتحقق في الكون من خلال العقل الكلي الشامل ومن خلال الارادة الخيرة الكلية، وما الشر الموجود في عالمنا اليومي سوى خير كلي، يحيا مهزوما في باطن الفعل الخير، وبالتالي هو جزء ضروري من الارادة الخيرة، له مكانته في الخيرية المطلقة، وقد عالج رويس إشكالية الشر باعتبارها إشكالية دينية أخلاقية، وله رأي قائم على تصور المطلق خلاصته أن الولاء للولاء "Loyalty for Loyalty"، أمر ضروري وأن ولاء الإنسان لعلة كبرى قد يجعل كل ولاء ممكنا، بحيث يتضمن الولاء الإيمان بعلة كلية لها دلالتها الروحية، التي نجد فيها كل القيم.

دار كنوز للإنتاج والنشر والتوزيع
العنوان: اقامة بن مسايب
الكيفان - تلمسان الجزائر
الهاتف/فاكس: 18 - 43 - 56 - (043) 213+
المحمول: 96 - 29 - 04 - 551 - (0) 213+
www.kkonouz.com kkounouz@yahoo.fr

Bibliothèque Nationale d'Algérie, 2024
9 789969 030266

د. كمال ذويبى

العقلانية الأخلاقية وفلسفة الولاء عند جوزايا رويس

الأخلاق في حدود الدين الواجب والإيمان

سلسة أبحاث دكتورالية

الناشر

وحدة: علوم الإنسان للدراسات الفلسفية والاجتماعية والإنسانية.

عنوان البريد الإلكتروني لمدير الوحدة أ.د عبد القادر بوعرفة:

bouarfah9@gmail.com

« الآراء الواردة في الكتاب لا تعبر عن آراء الوحدة »

حقوق الطبع محفوظة للوحدة

1445هـ - 2024 م

ردمك:

الإيداع القانوني:

978 - 9969 - 030 - 26 - 6

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾

سورة القصص الآية:5.

مقدمة السلسة

تَسْعَى الوحدة عَبْرَ التَّكْوِينِ الدّكْتُورَالِيِّ إِلَى إِصْدارِ "**سَلِسَةِ بُحُوثٍ دِكْتُورَالِيَّةٍ**" تُعْنَى بِمَا يُنْتِجُهُ طَلَبَةُ الدُّكْتوراه. وَيَهْدِفُ إِلَى تَعْزِيزِ القُدْرَةِ عَلَى الكِتَابَةِ الأَكَادِيمِيَّةِ، والْوُلُوجِ إِلَى عالَمِ الكِتَابَةِ. إِنَّ إِنْتاجَ نَصٍّ لَيْسَ بِالْسَّهْلِ وَلَا بِالْمُمْتَنِعِ، وَلَكِنَّهُ يَسْتَدْعِي القُدْرَةَ عَلَى التَّحْلِيلِ والنَّقْدِ، وَمَلَكَةِ التَّرْكِيبِ والتَّجاوُزِ. فَالنَّصُّ لَيْسَ مِلْكًا لِمُنْتَجِهِ بَلْ مِلْكًا لِقارِئِهِ، لِأَنَّ كُلَّ قِراءَةٍ هِيَ تَأْوِيلٌ لَهُ بِناءً عَلَى الفَهْمِ وامْتِلاكِ ناصِيَةِ المَعْنَى، وَكُلُّ قِراءَةٍ لِلنَّصِّ هِيَ قِراءَةٌ تَسْتَدْعِي اتِّخاذَ مَوْقِفٍ، قَدْ يَتَحَوَّلُ المَوْقِفُ إِلَى إِنْتاجِ نَصٍّ مَوَازٍ لِلنَّصِّ الأَصْلِيِّ، فَالْفَلْسَفَةُ فِي جَوْهَرِها هِيَ قُوَّةُ المُتَفَلْسِفِ عَلَى مُمارَسَةِ النَّقْدِ ضِمْنَ حُدودِ المَعْرِفَةِ وَإِيثِيقَا التَّواصُلِ.

وَنَحْنُ عَبْرَ هَذِهِ السَّلِسَةِ نَهْدُفُ إِلَى مُحاوَلَةِ دَفْعِ طَلَبَةِ الدُّكْتوراه إِلَى المُساءَلَةِ والنَّقْدِ، وَإِلَى المُجاوَزَةِ والْإِبْداعِ، بُغْيَةَ خَلْقِ فَضاءٍ لِلْحِوَارِ المعرفي الَّذِي يُمَكِّنُنَا مِنْ دَفْعِ الكِتَابَةِ فِي حقول العلوم الاجتماعية بِالْجَزَائِرِ إِلَى الْتَمَوْضعِ مَغارِبِيًّا وَعَالَمِيًّا، وَلَا يَتَأَتَّى ذَلِكَ إِلَّا بِدَفْعِ هَذَا الْجِيلِ إِلَى الكِتَابَةِ والرَّدِّ فِي الوَقْتِ نَفْسِهِ. إِنَّ الكِتَابَةَ لَيْسَ تَرَفًا وَلَا شَرَفًا، بَلْ هِيَ رِسالَةٌ تَنْأَى عَنْ حَمْلِها المَوْجودات، تَفْرِضُ عَلَى الكاتِبِ الالتزامَ بِأَخْلاقِيّاتِها وَمَبادِئِها، وَأَنْ يَسْلُكَ الكاتِبُ سُلوكَ الإِنْسانِ الحَكِيمِ، وَأَنْ يَتَمَسَّكَ بِمَا يَفْرِضُهُ الواجِبُ والحَقُّ، وَأَوْلَى مَراتِبُ الواجِبِ أَنْ يَكونَ أَمِينًا وَصادِقًا، وَأَنْ لَا يَنْتَحِلَ أَفْكارَ غَيْرِهِ، وَأَنْ يُنْسَبَ لِنَفْسِهِ مَا كَانَ مِنْ نَفْسِهِ جُهْدًا وَنَظَرًا وَثانِيها أَنْ يَتَدَرَّجَ فِي الكِتَابَةِ فَالْوُصولُ إِلَى المُبْتَغَى يَبْدَأُ دَوْمًا بِخُطْوَةٍ.

أد. عبد القادر بوعرفة

اختر لنفسك مثلا أعلى، فيصبح لديك دور تشارك به في بناء العالم، فإن كان المثل الأعلى الذي وضعته لنفسك مثل المثل العليا التي يصعب تحقيقها فإنك لن تصاب باليأس أو التشاؤم، وإنما تشعر على الأقل بنوع من المتعة من استسلامك الإرادي الحر لخدمة هدف من الأهداف النبيلة أما إذا كنت تحاول البحث عن مثل أعلى، يستحق التزامك به وأصابتك الحيرة والتردد، فإنك واقع لا محالة في مصيدة التشاؤم، لذا يلاحظ رويس أن المتشائمين، لا يهتمون كثيرا بشرور الحياة، وبكونها وقائع حقيقية، بقدر اقتناعهم بأن الحياة لا هدف منها"

جوزايا رويس

مقدمة

تعد المشكلة الخلقية موضوع دراسة المفكرين والمصلحين والفلاسفة منذ القديم، من المجتمعات الشرقية البدائية القديمة إلى مجتمعات العولمة المفتوحة على الفضاءات الرقمية والتقنية المعاصرة، فلم يكن تصور المبادئ الأخلاقية إلا ضمن إطار جامع لها في وحدة مع حياة الكائن البشري، بل إنها لا تنفصل حتى عن التنظيم السياسي إلا عندما انتهى الزمان " بمكيافيلي" لفصل الأخلاق عن السياسة، وكان فصل المقال مع " نيتشة" الذي رفض القيم السائدة معلنا موت الإله وميلاد الإنسان الأعلى "السوبرمان" بعدما كان كانط يؤمن بفكرة الإلزام الأخلاقي والذي تأثر بها " رويس" فيما بعد، حيث اعتبرها كانط مثلا أعلى للحياة يقول: " شيئان يثيران الدهشة والإعجاب في نفسي: السماء المرصعة بالنجوم من فوقي، والقانون الخلقي داخل نفسي" فالقيمة الأخلاقية إلزام ذاتي والتزام نفسي وليست إملاءات خارجية ولا سلطة فوقية. وقد كانت المذاهب الأخلاقية على مر التاريخ من تضارب وصراع المثل الأخلاقية ذاتها وتناقض هذه المثل مع الواقع، فقال أفلاطون لانتصار العدالة والعقل على الرغبات، وأكد الرواقيون على أن العقل هو مصدر للقيم الخلقية وجاءت المسيحية امتداد للأخلاق ومن خلالها ظهرت فكرة الواجب الأخلاقي مع كانط، وكذلك الصراع بين المذاهب الأخلاقية اللاحقة من مثالية وبرغماتية وغيرها، وهو ما نريد دراسته في كتابنا هذا بخصوص فلسفة الاخلاق في الفلسفة المعاصرة مع جوزايا رويس.

إن صفات التوجه الأخلاقي البرغماتي تنظر إلى المشكلات من خلال عبارات تعبر عن المواقف الفريدة المحددة لذا ذكر جيمس قوله "أن ماهية الخير هي ما يشبع حاجة ما"، ويعتقد بعض المؤرخين للفلسفة أن جميع الفلاسفة البرغماتيين فكروا في السلوك الأخلاقي من خلال مصطلحات إجتماعية، أي أننا لكي نأخذ في الاعتبار سلوك فردي لشخص ما من منطلق نقطة أخلاقية، فالسلوك النابع هنا هو من

نقطة تأثره بأشخاص آخرين فضلا عن تأثره بسلوكه الشخصي. وسنأخذ نموذج جوزيا رويس في الأخلاق لتوضيح ذلك.

إن المهمة الأولى للفلسفة بعد كانط هي إزالة تلك الثنائية التي أثقل بها كانط كاهل الفكر، وهي الثنائية التي أقامها بين الظواهر التي ليس حقيقة، والحقائق التي لا تظهر، وكذا دحض مقولاته الثابتة الميتافيزيقية؛ ذلك ما حاول بالفعل رويس القيام به، حيث حاول التغلب على الثنائية الكانطية بين ظواهر التجربة والشيء في ذاته، وذلك برفضه فكرة الشيء في ذاته، كما أحدث ثورة في المقولات مثلما فعل هيغل، إذ جعلها تشمل طيفا أوسع، حيث جعلها تشمل الثقافة والإيديولوجيات السائدة، فعدل شروط كانط الترنسندنتالية وحولها إلى شروط اجتماعية وإيديولوجية وثقافية .

إن كون الفكر ابن البيئة الذي نبع منها، حقيقة لا يمكن الشك فيها، والبيئة العامة التي شكلت لنا فكر "رويس" كانت بيئة تطور فيها العلم في مقابل تراجع الدين وانحسار بعض الفلسفات في مقابل ولادة فلسفات تتلاءم وروح العصر، وإذا كانت بعض الفلسفات قد عاودت الظهور، فان ذلك لن يثير استغرابنا؛ ذلك أن الحقيقة الفكرية تقر بالحلقة التواصلية للفلسفات، وبخاصة الأصلية منها، إذ يكون لها أتباع وموالون، غالبا ما يعمدون إلى إعادة النفس إليها وإحيائها. إلا أن ما يمكن أن يثير استغرابنا هو أن تعود تلك الفلسفات للعيش في جو جديد بالحلة ذاتها وهي مدركة لحقيقة ضيقها وعدم قدرتها على استيعاب الجديد من الأفكار والعلوم، فرويس ينتمي إلى مدرسة من المفروض أنها لم تعد مقبولة في العصر الذي ظهرت فيه، إلا أنه كان مدركا لذلك الأمر، ما جعله يعالج ذلك الواقع، وكانت فلسفته المثالية هي من حددت معالم ذلك التجديد، إلا أننا لم نجد في محيطنا الأكاديمي دراسة جادة في فلسفته المثالية ولا فلسفته الاخلاقية على الرغم من أهميتها البالغة والعميقة.

وإنه لمن نافلة القول أن المفكر الجاد عندما يروم الأخذ بفلسفة ما، فلابد أن يكون مطلعا على المشارب التي نهلت منها، كي لا يعود للوقوع فيها، ورويس -وهو ينفي انتسابه للمثالية التقليدية- ينفي عنه بعض الشوائب التي علقت بها وجعلتها عرضه للنقد من تلك الشوائب التي أشارت اليها الصفة الروحية للعالم، فلئن جاءت فلسفة "جيمس" فلسفة برغماتية، ورفعت من قيمة العمل ونادت بالحرية الفردية، وتعدد الخبرات الدينية وتنوعها ونشر الديمقراطية، فإن فلسفة "رويس" قد جعلت المجتمع محورها، فناقشت تصور المجتمع وتكويناته وأنواعه وأشكاله، كما وفقت بين النزعة الفردية وروح الجماعة، وبين الفرد والمجتمع، فقالت بروح المجتمع التي تجمع المتناقضات الفردية وتوحد بينها، خاصة بين الإنسان الفرد الظاهر، والإنسان المجتمع الكامن في أعماق الفرد، من خلال فلسفة الولاء، التي حاول "رويس" تطبيقها على المجتمع الأمريكي.

وقد شهد المجتمع الأمريكي في فترة ما بعد الحرب فقدان الثقة في تقاليده وقيمه الخلقية والدينية، فلم تعد القصائد الدينية الرسمية التقليدية قادرة على مواجهة مشكلات ما بعد الحرب، وعلى التعبير عن روح المغامرات والبحث عن الذهب التي سادت في المجتمع الأمريكي، فقد كانت الفوارق الاجتماعية وتعدد العقائد والأصول المختلفة لأفراد الشعب الامريكي تشكل عقبة في طريق الإصلاح الاجتماعي، والتناسق الطبقي بين أفراد المجتمع.

وقد اتخذت الفلسفة الأمريكية مسارها التاريخي من خلال متابعة الفلاسفة الأمريكيين للتراث الفلسفي العالمي الذي أرسى قواعده وأصوله فلاسفة الإغريق من أمثال: سقراط، أرسطو، أفلاطون وغيرهم من فلاسفة العصور القديمة، ومرورا بفلاسفة القرون الوسطى والحديثة من أمثال ديكارت وكانط، هوبز، ولوك، بيكون، سبينوزا، وراسل، دون أن تنسى نصيبها من الفلاسفة المثاليين المحدثين أمثال فيخته، شوبنهور، شلينغ، وهيغل وغيرهم، وقد تميز تطور الفلسفة الأمريكية عبر مراحل مر بها منذ إعلان الاستقلال بميزتين أساسيتين هما: أنه شمل كل جوانب الحياة والأحياء في المجالات السياسية والثقافية، المعرفية، وكذا الحرية، وتجربة

الأخلاق والاجتماع، والدين، وذلك إلى جانب الفلسفة بمفهومها التجريدي المثالي الخاص، بحثا عن الحقيقة في الحياة والموت، والطبيعة وما وراء الطبيعة، العقل، والحكمة وما تعرف عن ذلك من العلوم الميتافيزيقية وعلم النفس والمنطق والرياضيات وغيرهما من العلوم أو الفلسفات الطبيعية أو الإنسانية، وذلك في إطار ما يعرف بمجموعة علوم الفلسفة البحتة والتي تشمل الجانب النظري للتطور الفلسفي.

إن تطور الفلسفة في أمريكا على الرغم من شموليته لكل مجالات الحياة- بجانبها النظري والعلمي- قد تميزت بتخصصها في كل من الحالات المذكورة بما يحقق نوعا من التكامل في البحث الفلسفي، وليس من الغريب أن يتركز اهتمام الفلسفة الأمريكية في "التجربة" كمحور أساسي في مراحل تطورها مع محاور أخرى لا تقل عنها أهمية، وعلى رأسها "الحقيقة" و"المعرفة" و"الطبيعة" و"العقل"، وهذه سمات تميزت بها الفلسفة الأمريكية عن غيرها من الفلسفات وخاصة مذهبها البراغماتي الذي يتفرد بحسه الأمريكي لحما ودما، ثم جاءت فرصة أخرى كبيرة عندما بدأت في أوائل الستينيات دراسة الاتجاه العلمي التجريبي للفلسفة البرغماتية، فقد تجلى في هذه الفلسفة مفهوم اجتماعية المعرفة، وكان دور الفلاسفة البرغماتيون هو الاهتمام بالنسيج الاجتماعي و السياق التاريخي والسياسي للشعب الأمريكي، ليترجم هذا كله في أفكار فلسفية، حتى إنه يمكن القول بلا مبالغة أنه ما كان لهذه الفلسفة أن تنشأ في مجتمع آخر غير المجتمع الأمريكي، وفي زمان آخر غير هذا الذي ظهرت فيه، وإذا كانت الفلسفة بناءا على هذا-في أحد جوانبها الرئيسية- هي استجابة عقلية لجملة المتغيرات المجتمعية الكبرى، في أساسها وركائزها الأساسية، فإن هذا لا يعني أنها انفعال بما هو قائم، وإنما لابد أن تستكمل مسيرة الجدل، فتقوم بدور الفعل من حيث التوجيه والتغيير في الفكر وفي المجتمع وثقافته.

وينظر للأخلاق على أنها ذلك الفرع من الفلسفة الذي ينظر بمنطق الجمالية في السلوك الإنساني فيؤدي إلى تقويمه وتهذيبه اتساقا مع الفطرة الإنسانية

ومسايرة للنظام الطبيعة، وكمعيار أفضل للثبات والانضباط وهو ما تشهده فلسفة الأخلاق في محاولتها المتطلعة إلى خرق جدار الكمال الأخلاقي وملامسة حدوده القصوى التي ينبغي أن يتم وضع فيها السلوك البشري، والقيمة الأخلاقية للإنسان تذهب به إلى أفق إنسانية مثلى فهي تصعد به من مستوى الغريزة إلى حدود المثال الذي يلازم الحضور العيني للأخلاق، فهي ليست قيمة شاهد عاقل أو متأمل ذكي يقتصر على فهم ما يجري من أحداث أو يكتفي بملاحظة الوقائع دون أن يتدخل في مجرى الأمور، بل هي قيمة فاعل نشط أو ذات عاملة تنخرط في مجرى الأحداث لكي تساهم في إنتاج الأشياء، الأخلاق في الإسلام عبارة عن المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني ، والتي يحددها الوحي لتنظيم حياة الإنسان على نحو يحقق الغاية من وجوده في هذا العالم على الوجه الأكمل والأتم، يقول تعالى "وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ "[1]، في ذكر لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وإنك يا محمد لعلى أدب عظيم وذلك أدب القرآن الذي أدّبه الله به، وهو الإسلام وشرائعه.

وتعود اهمية هذا الكتاب إلى كونه يقف عند محطة بارزة من محطات الفكر الأخلاقي وتطوره في الفترة المعاصرة، ذلك انه يلفت النظر الى الاسهام الرويسي في تجديد وإحياء الاخلاق المثالية، وبعثها من جديد، إضافة إلى أننا رغبنا أن نبين أن لرويس جانب توفيقي يعتبر صميم فلسفته الأخلاقية، لا يقل أهميته عن الجانب التوفيقي الذي اشتهر عنه عندما وفق بين الدين والفلسفة أو العقل والنقل، وهم ما يساهم في حل الخلافات التي تواجهنا، سواء في حياتنا اليومية أو في القضايا والمشكلات التي تواجه الفلسفة اليوم.

فلقد اختلفت صورة المذهب المثالي في نهاية القرن التاسع عشر اختلافا ملحوظا، فالجميع يتفق في إفساح مكان الواقع للقيم العليا أكثر مما فعل " مل " و" سبنسر" وفي جعل الروح أكثر أهمية من المادة، وربما كان الاختلاف الأكثر أهمية بين أنصار المثالية المطلقة الذين وحدوا الوجود وأدرجوا كل الوقائع داخل عقل واحد شامل كل الشمول يسمى هذا العقل عادة بالمطلق، وبين الفلاسفة من أنصار

[1] -سورة القلم الاية 4.

المثالية الشخصية الذين كانوا من أنصار مذهب الكثرة وكانوا عادة مؤلهه وأكدوا تأكيدا كبيرا على فصل الأشخاص والأفراد وعلى قيمتهم الداخلية.

وقد اخترنا "جوزيا رويس" كممثل للحركة المثالية لأنجلو أمريكية لكي نعرض آراءه الأخلاقية وعلاقتها بفلسفة الولاء، حيث يتوسط مذهبه بين الصور المتطرفة للمذهب المثالي المطلق الذي يقلل من الفردية وبين صور المذهب المثالي الشخصي الذي يؤمن نقادها بتأكيد مغال فيه على الأفراد على حساب الوحدة، وليس "رويس" من الفلاسفة الذين يصعب قراءتهم بل تجد في أسلوبه الممتعة والاثارة، ولقد أعتبر الفيلسوف المثالي الأمريكي الأكثر تألقا، على الرغم من أن بعضا من الفلاسفة المثاليين البريطانيين أمثال "جرين و"برادلي"و " بوزانكيت"، كانوا من المفكرين الأشد عمقا، حيث يعد جوزايا رويس من كبار فلاسفة المثالية في القرن التاسع عشر، وتأتي أهمية فلسفته في كونه حاول التوفيق بين الدين والفلسفة وكذا بين البرغماتية والمثالية باستخدام المنطق ومقولاته خاصة من الناحية القيمية، بحيث عرض فيها مذهباً فلسفياً مثالياً نقديا وتطبيقه على المشكلات الدينية التي تثير التساؤلات الفلسفية المحيرة، حيث يتناول المشكلة الخلقية وطبيعتها والمثل العليا التي نحتك بها في حياتنا اليومية، وطبيعة الحقيقة الدينية التي تنشر في العالم، فيعرض للنظريات التي تفسر العالم. وينتهي بالمثالية. لأن المجتمع الذي نشأ فيه "رويس" كانت تسوده الفوضى إذ يتألف من الباحثين عن الذهب، ومن مستوطنين يائسين، وعند اطلاعه على الفلسفة اطلع على الجدية الهادئة للمذهب المثالي الألماني، من هنا أكد على البقاء الأزلي للقيم في عقل مطلق يشمل الواقع بأسره، والتجربة كلها في وحدة وانسجام لا متناهيين وثابتين.

وقد حاولت الاخلاق الرويسية الإجابة على الاشكال التالي: هل من الممكن تشكيل المثال الأخلاقي من داخل الذات وبعيدا عن أي نظرية في العالم الطبيعي؟ أم من الممكن تشكيل المثل أولا ثم يطلب من العالم الخضوع له؟ ألا تسعى الذات لتحقيق وحدتها مع الآخر؟ وبالتالي لا يمكن أن تكون حريتها حرية أخلاقية؟

كما حاولنا من خلال هدا العمل معرفة ما إذا كان من الممكن وضع نظرية في المعرفة، تكون مستقلة عن نظرية في الاخلاق وعن النظرية الدينية بصورة عامة؟ أم أن المعرفة ترتبط بواجب أخلاقي وبنظرة معنية للعالم وبحقيقته الدينية؟ وبالتالي لا تأسيس لها بدون ايمان مسبق بهذه الحقيقة؟ وهل هذا العالم بأوصافه يحقق مطالب النظام الخلقي والوعي الأخلاقي؟، ألا يكون النشاط الأخلاقي ظاهرة عرضية في ظل وحدة العقل والطبيعة؟، الا توجد حتمية أخلاقية؟ أتلك هي المثالية؟ أم أنه عبارة عن شك فلسفي في أساس الأخلاق؟ كيف استطاع رويس تأسيس نظرية مثالية في الاخلاق في مجتمع برغماتي؟ وكيف جمعت هذه النظرية بين الافكار الفلسفية والدينية؟

1 -رويس سيرة فكرية

1-1-قراءة في مؤلفات رويس الفلسفية

" جوزايا رويس"Royce Josiah "*. فيلسوف غزير الانتاج، وكانت طريقته في عرض كتبه وربما تدريسه هي تكرار الموضوع مرات عديدة مع أمثلة توضيحية مختلفة حتى يفهمها كل قارئ، كما أن أسلوبه الأدبي كان ممتازا ومتألق في الغالب، ركزت دراسات رويس المبكرة في ألمانيا وجامعة جونز هوبكنز على تطوير مثالية ما بعد كانطية، فقد ينظر إلى عمله الفلسفي ككل كجهد مثالي جديد لصناعة مثالية جديدة تكون مكملة وناقدة للمثالية السابقة، حيث كانت أغلب كتاباته في الميتافيزيقيا ونظرية المعرفة والأخلاق والفلسفة العملية والفلسفة الدينية والمنطق.

ولو طالعنا أعماله الفلسفية وأنشطته الاكاديمية فإننا نكشف على قيمة كبيرة تتعلق بمنزلة الانسان في الوجود خاصة ما يتعلق بنظرية الولاء والبصيرة الاخلاقية والتأويل والمنطق وغيرها من النظريات التي سنتطرق اليها في بحثنا هذا

---

1. *جوزايا رويس: فيلسوف أمريكي هيغلي النزعة مثالي المذهب وهو الميتافيزيقي الأمريكي الوحيد، ولد في "crass valleg"بولاية كاليفورنيا في الولايات المتحدة سنة 1855وهو ابن لوالدين إنجليزيين عبرا القارة الأمريكية اثناء التهافت على الذهب سنة1849، ودخل جامعة كاليفورنيا في سنة 1871، وحصل على البكالوريوس سنة 1875. كتب بحثا عن اللاهوت في مسرحية "برونيوس مقيدا"، نال به منحة من المال مكنته من تقضية عامين في ألمانيا، حيث راح يقرأ الفلاسفة الألمان وخصوصا شلينغ وشبنهور، والتحق بجامعة "جيت خن "حيث درس على يد الفيلسوف " لوتسة"، ثم حصل على الدكتوراه من جامعة جونز هوبنكر، في (بلتيمور)، وكان حينها يستمع لوليم جيمس وبعض محاضراته، عين مدرسا في جامعة كاليفورنيا لبضعة أعوام، ثم أستاذ مساعد وفي 1892 صار أستاذا في نفس الجامعة (هارفاد) وشغل كرسي اللفورد للفسفة في جامعة هارفارد سنة 1914. توفي سنة 1915. من مؤلفاته محاضرات في المثالية الحديثة، الجانب الديني للفلسفة، روح الفلسفة الحديثة، مفهوم الله، دراسات في الخير والشر، العالم والفرد،ج1،ج2، فلسفة الولاء، وليم جيمس وفلسفة الحياة، مصادر البصيرة الدينية، مشكلة المسيحية ج1،ج2،مفهوم الله، ودراسات أخرى، أنظر عبد الرحمن بدوي: "الموسوعة الفلسفية"، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1984، ص 544.

من خلال دراسة أعماله الكثيرة والمتشعبة من كتب ونصوص ومحاضرات وعلاقتها بما سبقها من معطيات فلسفية في تاريخ الحداثة الغربية.

وللفيلسوف "رويس "العديد من المؤلفات الفلسفية التي ألفها في سنوات طويلة، والتي امتدت حتى سنوات عمره الأخيرة، ومن مؤلفاته ما كانت مجموعة من دروسه ومحاضراته التي كان يلقيها ومن مؤلفاته نذكر:

• **أهمية التحليل المنطقي(1881):** حافظ رويس على اهتمامه بالمنطق طوال حياته المهنية .كان كتابه الأول أهمية التحليل المنطقي أو التمهيد للتحليل المنطقي، والذي كتب لطلابه في كاليفورنيا في عام 1881تناول فيه موضوع الواحد والكثرة، واللانهائي[2]".

•**الجانب الديني للفلسفة "نقد لأسس السلوك والايمان"(1885)**: يصف أحمد الانصاري مترجم هذا الكتاب للعربية، بأنه سمفونية فكرية رائعة، متكاملة الانغام، تعزف ألحانها في تسلسل محكم وممتع في الوقت نفسه، يستمتع بها المتخصص والغير متخصص في الفلسفة، فيجد القارئ الغير متخصص الحس الموسيقي المرهف، والدين الطبيعي الخالص، ويجد فيه القارئ المتخصص استدلال محكم خالي من التناقض، ونقد وتحليل لطبيعة المثل العليا، والنظريات التي تفسر العالم[3]، وظهر في هذا الكتاب "رويس" الفيلسوف والشاعر، وتكمن أهمية هذا الكتاب في كونه محاولة لتوفيق بين الدين والفلسفة ودفاعا عن الفلسفة، ومؤكدا لعقلانية الدين[4]. وحاول من خلاله رويس نموذجا معاصرا لمعالجة الصراع القائم بين العقل والنقل، يعرض فيه "رويس" مذهبا مثاليا وكيفية تطبيقه على المشكلات الفلسفية، والي تثير تساؤلات فلسفية محيرة، وينقسم الكتاب الى جزأين، يتناول الاول المشكلة الخلقية وطبيعتها والمثل العليا التي نحتك بها في حياتنا اليومية،

---

[2] -Robinson, d. S., Royce's logical essays: logical essays compiled for Josiah Royce. Dubuque Iowa, WC Brown, ed. State University of New York Press, 1951, P11.

[3]- رويس جوزايا، الجانب الديني للفلسفة ت احمد الانصاري، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2009، ص16.

[4]- المرجع نفسه، ص03.

وينتهي باكتشاف البصيرة الخلقية التي توجه الانسان نحو تحقيق الانسجام بين غايات الافراد والارادات المتصارعة، أما الجزء الثاني فيتناول فيه "رويس" طبيعة الحقيقة الدينية بعرضه للنظريات التي تفسر العالم، وينتهي بالمثالية، وبفكر كلي شامل الذي يكشف عن نفسه في العالم ويستمد منه الانسان عونا أخلاقيا، ويكتسب البصيرة الدينية.

• **دراسة الشخصية الامريكية(1886):** يهدف هذا الكتاب إلى مساعدة القارئ على فهم شيئين: ولاية كاليفورنيا الأمريكية الحديثة، وشخصيتها الوطنية كما تظهر في تلك الأرض"[5]، فقد تناول في هذا الكتاب ما كانت عليه الشخصية الامريكية وبشكل رئيسي الشخصية الكالفورنية إبان الحرب الاهلية الامريكية وتناول أيضا خلق الفرد الامريكي.

• **روح الفلسفة الحديثة(1896):** الفكرة الاساسية التي يقوم عليها هذا الكتاب هي اعتباره بأن التاريخ هو التربة التي نبتت منها كل المذاهب الفلسفية، ولذا قسم الكتاب الى قسمين، يعرض القسم الاول لتاريخ الفلسفة الحديثة وفترتها المتعاقبة ولمذاهب الفلاسفة الذين قد مثلوا كل مرحلة من تلك المراحل، محاولا أن يبين الروع العامة لتلك الفلسفة في مراحل نموها المتلاحقة والمختلفة، ويعرض في القسم الثاني من الكتاب بعض الاقتراحات والافكار العامة لمذهبه الفلسفي[6]، في كتاب "روح الفلسفة" بلغت كتابة "رويس" قمة الروعة، واستطاع تحقيق المعادلة الذهبية فجمع بين العام والتخصص، وبين اللغة العادية والفنية، فحوى الكتاب عرضا عاما سريعا لتلك الفترة الفلسفية، ولم يتوقف كثيرا عند التحليلات التفصيلية، ومع ذلك يعد الكتاب من أفضل كتب "رويس " الفلسفية، من حيث صياغة العبارة، والقدرة على توضيح الفكرة والتشبيهات المناسبة، وصياغة الأفكار الصعبة والمعقدة بأسلوب سلس واضح بسيط ويحظى الكتاب بما يحويه من

---

[5] - Jasiah Royce، à study american character , houghton , mifflin and Co , boston and , new York, 1886 ;p 711.

[6]- رويس جوزايا روح الفلسفة الحديثة، ت أحمد الانصاري ، ط2 القاهرة 2009 ، ص 09.

فلسفة عميقة وشعور صادق بالمرحلة التاريخية التي يتناولها بمكانة فريدة في حياتنا الفلسفية والفكرية[7].

لم يعرض "رويس" الأفكار المميزة لورثة "كانط"، وإنما بحث عن الجوانب المهملة في فلسفاتهم، والموضوعات المدفونة والمنسية فيها، فتكشف له عن المعنى الحقيقي لآرائهم وتعاليمهم، وتفضي إليه بروح هؤلاء الفلاسفة وبالفكرة الرئيسة لهذه الحركة الفلسفية، فأكتشف "رويس " مثلا، إرهاصات " المنهج الجدلي " في أعمال "شلنج " الأولى، وإن روح " هيجل " الحقة لا تظهر في المنطق " وإنما في "الظاهريات "[8].

• **مفهوم الله(1897):** يحتوي هذا الكتاب على مقالات ومداخلات لفلاسفة كثر، والتي طرحت في الاتحاد الفلسفي لكاليفورنيا لمناقشة فكرة الله[9]، حيث عالج فيه رويس طبيعة الفكرة الالهية كواقع، وايضا مفهوم الله، والمشاكل المرتبطة بت في ظل نظرية التطور، ومدينة الله، معالجا في نهاية هذا الكتاب علاقة المطلق بالفرد، مع رده على بعض منتقديه[10].

• **دراسات في الخير والشر(1898):** يطرح هذا الكتاب عدة مقالات حول مشكلة الشر التي طالما أزعجت الفلسفة الدينية والمثالية، واستكشف رويس طبيعة الشر في العديد من الأعمال وقدم نظرة ثاقبة أصلية في هذا الكتاب، حيث رفض رويس بعض الإجابات التقليدية لمشكلة الشر واكد بأن المشكلة كما هو مذكور تقليديًا تستند إلى افتراض خاطئ بأن الله أو المطلق منفصل عن الفرد ويخلق المعاناة والشر[11].

---

[7]- رويس جوزايا، محاضرات في المثالية الحديثة، ت، احمد الأنصاري، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، ط1 2006، ص23.

[8]- المصدر السابق، ص24.

[9]- جيرارد دبليو دال: الفلسفة الأمريكية، ت جور تورة، إلهام الشعراني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2009، ص253.

[10]- jasiah royce the conception of good, the macmillan, hamen connsticut, u.s,1902, p12.

[11]- jasiah royce، studi of good and evil, archon books, hamen connsticut, u.s,1898,p8.

• **العالم والفرد (جزءان 1900-1902):** يقدم هذا الكتاب توضيحات متعددة ذكرتها المذاهب الواقعية والصوفية والعقلية النقدية والمثالية حول مفهوم العالم وعلاقته بالفرد.[12]. ويعتبر هذا الكتاب استكمالاً لمشروع "رويس" الذى بدأه فى كتابه "الجانب الدينى للفلسفة" صار رويس في تيار التوفيق بين الدين والفلسفة، وتعقيل الإيمان، وتوضيح الصلة بين العقائد الدينية والفلسفة التقليدية؛ ، كتاب ينم عن قلم رفيع، وباع طويل في القدرة على التفلسف والتحليل، يملك صاحبه مشروعا فكريا واضحا، ونسقا تحليليا لا غبار عليه، يبسط فكرته بمنهج "عقلاني" منطقي محكم البناء، لهذا فلا غرابة أن تجد جزالة اللفظ تجاور فصاحة المعنى، وكثافة الفكرة تلامس صدق المقصد[13].

• **مفهوم الخلود(1900):** يتناول "رويس" في هذا الكتاب تطوير مفهوم الفردية - ما يعنيه أن تكون فردًا - وربط هذا التطور بمفهومه عن المطلق .يدعي رويس أن فهمه للخلود ينبع من الفهم الصحيح لطبيعة الفردانية[14]، فتجارب جميع الأفراد موجودة داخل عقل المطلق الذي يشمل كل شيء، ويطور رويس نموذج التفرد هذا، الذي يظهر بشكل أفضل في الحب البشري ، من خلال ممارسة العلم والمعرفة إلى حد مطلق يتجاوز كل الأنشطة المحدودة وإلى الشعور بالخلود الفردي في المطلق.

• **فلسفة الولاء(1908):** الكتاب عبارة عن مرشد لكل قارئ يعشق المثل العليا أو يرغب في مراجعة مثله العليا بروح فلسفية جديدة، حيث يعتبر فيه رويس أن مفهوم الولاء يشكل الجزء الأهم من هذا العمل الفلسفي الأخلاقي[15]، ففي كتابه

---

[12]- رويس جوزايا، العالم والفرد، ج1، ت أحمد الانصاري، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2008، ص08.

[13]- رويس جوزايا، العالم والفرد، ج2، ت أحمد الانصاري، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2008 ص08.

[14] - Royce Josiah ,The Conception of Immortality, Houghton, Mifflin and Co., Boston and New York, 1900, p.1.

[15]- رويس جوزايا، فلسفة الولاء ترجمة أحمد الأنصاري المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ط، 1 2002، ص30.

هذا يرفع مفهوم الولاء إلى مستوى تصور يعبر، بالنسبة للشعب الأميركي، عن أخلاق جماعية مع انعكاساتها السياسية والاجتماعية بتهجين الذرائعية والمثالية الفلسفية، كان ژويس يقصد استعادة الذرائعية لكن بدمجها في فلسفة موحدة للحياة[16]، أما باقي المحاضرات الموجودة فيه فيحاول أن يعرض فيها ما يعتبره ممثلا ومعبرا عن المعنى العميق والروح الحق لكل أصحاب الولاء، مهما كانت ولاءاتهم وتعريفهم للولاء.

• **وليم جيمس وفلسفة الحياة(1911):** يتألف هذا الكتاب من خمسة مقالات وتحتوي المقالات التي تم جمعها في هذا المجلد على توضيحات وتطبيقات لعقيدة المثالية الفلسفية. تحتوي كل مقالة على تفسير لبعض المشاكل أهمية حيوية لأي شخص يريد تكوين مُثُل سليمة لسلوك الحياة[17].

• **مصادر البصيرة الدينية(1912):** يتناول هذا الكتاب عرض لفلسفة "رويس" الخلقية ومفهوم الولاء ومحاولته النهائية لتعقيل المسيحية، كما يسعى للتوفيق بين الأخلاق والدين والواجب والإيمان، معرجا على مفهوم دين الولاء، ويساهم في وضع الخاتمة النهائية للمشروع الذي بدأ "رويس" في كتابه الجانب الديني للفلسفة بحيث يقدم تفسيرا أكثر تفصيلا لمعنى"الدين"، كما يعرض تفصيلا دقيقا لمعنى العقل الكلي الشامل، وجاء هذا الكتاب على شكل مجموعة من المحاضرات على شكل طريقة هيغل، فغلب عليه طابع الاسهاب و التكرار، فيجد القارئ والباحث نفسه مجبرا على اعادة قراءة المحاضرات السابقة عنه حتي تتكامل موضوعاته[18]، يبحث رويس في هذا الكتاب ماهية الدين ومعنى المفارقة الدينية، فيقترب من "فيورباخ" في بحثه عن ماهية الدين وتناقضات الموقف الديني، ويقترب

---

[16]-Josiah royce، philosophie du loyalisme، trad، de jacqueline morot-sir، paris، aubier, 1946، p11.

[17]-Royce Josiah, William James and other essays on the philosophy of life, , TheMacmillan Co, New York, 1911, p. 8.

[18]- رويس جوزايا، مصادر البصيرة الدينية، ت، احمد الأنصاري، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، ط1 2008، ص 13.

في البحث عن الماهيات كما ظهرت عند "هوسرل" فيما بعد[19]،ويجد الاشارة هنا الى أن "رويس" حصر الدين في الديانة البوذية والديانة المسيحية، ولم يتعرض الى الديانة الاسلامية أو ديانات الشرق، وانتهى "رويس" في كتابه هذا الى التأويل الفلسفي للدين.

• **مبادئ المنطق(1912):** ساهم هذا الكتاب بشكل كبير في الدراسات المنطقية التي كانت سائدة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، حيث يعتبر هذا الكتاب محاولة من "رويس" للبحث عن منطق جديد يتصف بالصورية المطلقة، ويعالج مشكلات المنطق القديم والحديث[20]، حيث تتمثل الاهمية الاولى في مساهمته في الدراسات المنطقية التي كانت موجودة في بدايات القرن العشرين، أما الاهمية الثانية فتكمن في علاقة المنطق بالفلسفة الدينية والميتافيزيقية، وكيف يمكن أن يقدم المنطق حلال للمشكلات الفلسفية والدينة، من خلال الفلسفة التوفيقية عنده.

وينقسم هذا الكتاب الى ثلاثة أقسام، يقدم في الاول المنطق بوصفه علما للنظام، أما الثاني فيتطرق فيه "رويس" الى معنى الانساق النظامية، أما القسم الاخير فيبحث فيه "رويس" في الاساس المنطقي لأنماط وأطر النظام، وهذا الكتاب ما هو الا محاولة لظهور المنطق الرمزي.

• **محاضرات في المثالية الحديثة(1912):** ويأتي كتاب رويس هذا مكملا لكتابه "روح الفلسفة الحديثة" حيث عرض فيه تصور المثالية للعالم ولتشكل الأشياء، ويتناول فيه الظروف الاجتماعية والأحداث التاريخية التي جاءت المثالية نتيجة لها[21]، خاصة مذاهب الفلاسفة ما بعد كانط ويناقش "رويس" في كتابه "محاضرات في المثالية الحديثة" مفهوم الذات الحقيقية عند كانط، وكيف قام

---

[19]- المصدر نفسه، ص14.

[20]- رويس جوزايا، مبادئ المنطق، ت، أحمد الأنصاري، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2008، ص 05.

[21]- رويس جوزايا، محاضرات في المثالية الحديثة، ت، احمد الأنصاري، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، ط1 2006، ص 08.

ورثته بتعديل واستبدال الذات العارفة والذات الأخلاقية بالذات المطلقة العارفة الشاملة، التي تضم كل الحقائق في وحدة الوعي، ثم مناقشة المنهج الجدلي عند "شلينغ" حتى اكتماله عند "هيغل"، وأخيراً دراسة العلاقة بين الوعي الفردي والاجتماعي، وقد عرض هذا الكتاب تصور المثالية للعالم ولتشكيل الأشياء، بداية من إسبينوزا بعد أن اعتبر ديكارت ممهدا للمثالية وليس مؤسسا لها، ثم انتقل إلى كانط" وإلى الفلاسفة بعد " كانط"، وكيف جاءت فكرة "المطلق" الفكرة المحورية في هذه المذاهب، ومنهجها الجدلي كرد فعل لتلك الظروف والحوادث متأثرة بالجوانب الثقافية والأدبية التي سادت تلك الفترة، وهو كتاب نشر بعد وفاته، يكشف عن موهبة فائقة في القدرة على تفسير المذاهب الفلسفية وتطورها، تفسيرا يوضح أسباب كثير من المشكلات الفلسفية الكبرى في عصرنا الحاضر، وبين مدى اهتمام الفلسفة الحديثة بدورها في تشكيل صور الأشياء، واستطاع أن يصحب القارئ في رحلة شاقة عبر مذاهب المثالية الألمانية، متتبعا تطور هذه المذاهب من "كانط" إلى "هيجل "[22].

• **مشكلة المسيحية(1913):** كتاب يتالف من جزئين حاول فيه"رويس" تأويل المسيحية تأويلا فلسفيا، وجعلها تتناغم وتنسجم مع أفكار مذهبه المثالي[23]، وموضحا العلاقة التي تربط المسيحية بالفرد العادي والفرد المتصوف، مقارنا بين المسيحية القديمة والمسيحية الجديدة، وكيفية تجديدها تماشيا وروح العصر الحالي، معالجا في الاخير مفهوم الحيوية المسيحية وعلاقتها بالبصيرة الدينية وفلسفة الولاء وبعض المحاضرات التي القاها في الرابطة المسيحية لجامعة هارفارد سنة1909؛ ويفسر ايضا فيه العقائد المسيحية تفسيرا عقلانيا، ويلاحظ أن عنوان الكتاب جاء مشابها لعناوين كتب الفلسفة التي تتحدث عن مشكلاتها الدينية، وهكذا تتضح النزعة التوفيقية لدى " رويس"، واتجاهه نحو تحقيق الوحدة ؛ فالدين والفلسفة وجهان لحقيقة واحدة.

---

[22]- المصدر نفسه، ص07.

[23]- Royce Josiah ,The Problem of Christianity, part I, A Gateway Edition, Henry Rgnery Co, Chicago, 1968, p18.

• **الحرب والتامين(1914):** ويتناول رويس في هذا الكتاب ثلاثة مواضيع أساسية كان الأول منها عرض خطة تأمينية لتجميع الأمم بنظام تأميني بقوانين عالمية من خلال التأمين الدولي المتبادل، والموضوع الثاني تناول فيه مجتمع التفسير ومجتمع المحبة المثالي، والموضوع الثالث كان حول العلاقات الاجتماعية الخطيرة، واخر شيء تكلم عليه في هذا الكتاب هو أن العالم يسير نحو الكنيسة المرئية، وكما أن الديمقراطية من أجل الشعب، فإن التامين من أجل الأمم[24].

1-2-رويس والفلسفة العملية:

الاخلاق في اللغة جمع خلق وهو السجية، أو صورة الانسان الباطنة[25]؛ لان صاحبه قد قدر عليه[26]، اما في الاصطلاح فتعرف بانها شكل من أشكال الوعي الانساني يقوم على ضبط وتنظيم سلوك الانسان في كافة مجالات الحياة الاجتماعية بدون استثناء[27]، يعرفها كانط بانها علم العمل بالمعنى الموضوعي لهذه الكلمة من حيث اشتمالها على جملة من القوانين المطلقة التي ينبغي أن يعمل بمقتضاها[28].ويعد "جوزيا رويس"كأحد أبرز فلاسفة الاخلاق في القرن التاسع عشر، بل إن الكثير منهم يعتبرونه في مقدم الذين وجهوا النقد العميق والمنهجي لقيم الحداثة وعيوبها الاخلاقية، ولعل من أهم ما اكتسبته شخصية "رويس" في مجال الفلسفة الاخلاقية أنها دخلت على خط التجربة التاريخية للعلمانية لتعيد الربط والتوفيق بين الفلسفة والدين او ما يسمى الفلسفة التوفيقية، أي التوفيق بين القيم الدينية الالهية وشؤون الانسان الدنيوية.

فيدافع رويس في الجزء الثاني من كتابه "العالم والفرد" عما يسمى بالفلسفة التطبيقية، ويقصد بها الفلسفة التي تنتهي إلى واقع الفرد، حياته، وتمديد

---

[24] Josiah Royce, War and Insurance, University of California Philosophical Union, California, 1914,P18

[25]- ابن منظور، "لسان العرب"، المجلد الرابع، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د ط، 1988، ص86.

[26]- ابن فارس، معجم المقاييس في اللغة ، دار الفكر، د ت ط، بيروت لبنان، ص329.

[27]- مصطفى حسيبة، المعجم الفلسفي، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، عمان،2009، ص40.

[28]- إيمانويل كانط، مشروع السلام الدائم، ت عثمان أمين، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ط1، 1952، ص87.

وضعه في الوجود، وتفسير علاقته بالآخرين والطبيعة والمطلق. جاء كتاب العالم والفرد مكملا لآرائه في كتابه الجانب الديني للفلسفة. والتي اكتملت فيما بعد في كتابه "مشكلة المسيحية" (1913) وشكلت أراءه في التأويل والمجتمع مذهبه الفلسفي. ولئن شكلت محاضراته في العالم والفرد" (1900-1901) الخطوط الرئيسية لنظريته في الوجود إلا أن مذهبه النزعة الإرادية المطلقة والذي أطلق عليه فيما بعد اسم "البراغماتية المطلقة" يعد من أهم المذاهب التي تقدم الحلول المنطقية والأساسية لمشكلة الوجود.

في عرضه للإشكالية الأخلاقية، وجه "رويس" النقد للأخلاق الواقعية، التي تستنبط المثل من الواقع أو من المجتمع، فالمجتمعات عديدة ومتعددة، الأمر الذي يؤدي إلى تضارب المثل العليا، كما أنه وجه نقدا للمذاهب المثالية التي تستنبط المثل من الذات أو الطبيعة الإنسانية، وتطلب من الواقع الخضوع لها، الأمر الذي يؤدي إلى اختلاف المثل وتضاربها، لأنها تنبع من إرادات متعددة، وهي محاولة من رويس لأن يمهد لظهور الشك الخلقي ثم الخروج في النهاية بالحدس الأخلاقي، فقد يستمد المثال من الواقع، لكنه يستطيع تجاوزه ويسعى إلى تطويره وتغييره[29]، حيث جاءت معالجة رويس للأخلاق المثالية تسير في تيار المثالية الألمانية خاصة الفلاسفة بعد "كانط"، حيث تشبه آراء "هيجل" بصورة عامة و"فشته"و"شوبنهور" بصورة خاصة. ولئن كان مذهب رويس الميتافيزيقي في الشر أو نظريته المثالية بصورة عامة تشبه آراء هؤلاء الفلاسفة، إلا أنه وصل إليه بمنهج مختلف، فلم يتخذ "رويس" التجريد والمذهب التأملي منهجا، بل اتجه إلى الخبرة الإنسانية الواقعية أو الشعورية داخل الوعي، ليبين ضرورة وجود الشر داخل الخبرة الخيرة، وانطلق من الوعي الفردي إلى الوعي المطلق، ورويس لم يقدم نقده للمذاهب الأخلاقية السابقة لكي يقضي عليها، بل خرج بمذهب يتألف منها ويشملها جميعا، فالبصيرة الخلقية تحقق الانسجام بين المذاهب الأخلاقية المختلفة، وتحويها جميعا، وبذلك يتطابق المنهج مع المذهب[30].

---

[29]- رويس جوزايا، العالم والفرد، ج2، مصدر سابق، ص07.

[30] - احمد الانصاري: فلسفة الدين عند جوزايا رويس مرجع سابق ص 197.

وتستدعي فلسفة "رويس" الاخلاقية نظر الباحث فيها بوجه خاص لأنها تعتمد على مفهوم وأساس جديد لم يسبق ان استعمل من قبل وهو الاخلاص لمبدأ الاخلاص او ما يسميه رويس "الولاء للولاء" والذي هو تفاني المرء في خدمة مبدأ من المبادئ يعتبره فوق الاعتبار النفسي، فإذا كان إخلاصه لهذا المبدأ لا يحول بينه وبين احترامه لغيره من الناس الذي يخلصون أيضا لمبادئهم فإنه يجد روح الاخلاص في نفسه، هذا المبدأ الذي يرجو رويس أن ينتشر ويذيع لتحقيق الانسانية الكبرى التي يطمح الى تحقيقها، وبذلك يزول كل شقاق وعداوة بين الامم[31]، وفي ظل الموقف الذي كان سائد من طرف الاجتماعيون الذين أكدوا على أن الاخلاق ظاهرة إجتماعية وليس لها وجود خارج الجماعة[32]، وبالتالي تجدد لنا النية الخلقية للأفعال[33]، حاول رويس الإجابة على الاشكال التالي: **هل من الممكن تشكيل المثال الأخلاقي من داخل الذات وبعيدا عن أي نظرية في العالم الطبيعي؟ أم من الممكن تشكيل المثل أولا ثم يطلب من العالم الخضوع له؟**

ويكاد يتفق جميع مؤرخي الفلسفة على أن سقراط كان هو مؤسس الفلسفة الاخلاقية في العالم الغربي[34]، ومهمة الاخلاق هي إيقاظ الاحساس بالقيم الانسانية العليا، لتنزاح نحو المثل العليا في تحقيق إنسانيتها[35]، ووظيفة الفلسفة الخلقية هي وضع السلوك الانساني بما هو كذلك، ليميز بين الخير والشر[36]، وفي أول كتاب كتبه "رويس" بعنوان "الجانب الديني للفلسفة، يفرق "رويس" بين وجهين للدين: الأول يشرع التشريع الخلقي بوضع نظرية للفعل والسلوك، والثاني يعين

---

[31]- أبراهام وولف، فلسفة المحدثين والمعاصرين، ت أبو العلاء عفيفي، لجنة الترجمة والتأليف والنشر، القاهرة، ط 2، 1936، ص65.

[32]- إبراهيم أبو بكر، الاسس النظرية للسلوك الاخلاقي، منشورات جامعة قاريونس، 1995، ص09.

[33]- محمود حمدي زقزوق، مقدمة في علم الاخلاق، ط3، دار القلم، الكويت، 1931، ص 18.

[34]- أندريه كريستون، المشكلة الأخلاقية والفلاسفة، ت عبد الحليم محمود، مطابع دار الشعب، القاهرة، 1979، ض71.

[35]- مصطفى عبده، فلسفة الاخلاق، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1999، ص 22.

[36]- توفيق الطويل، فلسفة الاخلاق نشأتها وتطورها، ط3، دار النهضة العربية، 1976، ص 17.

حدود الايمان أي يضع نظرية للمعرفة، وكأنه يجيب على سؤالين: **كيف ينبغي أن أسلك؟ وماذا أعرف؟**

أما كيف ينبغي للإنسان أن يسلك، فجوابه هو أن المثل الاعلى في الاخلاق يجب أن يقوم بين مختلف الارادات اتساق وتناغم وانسجام، ففي الفرد الواحد ارادات متضاربة تمثلها الرغبات، والاخلاق المثلى في هذه الحالة هي أن ينسق الانسان بين هذه الارادات المتضاربة في وحدة واحدة تجعل منها أجزاء متعاونة على تحقيق هدف منشود وهو الشيء نفسه بين أفراد المجتمع الواحد، فلكل هؤلاء الافراد إرادته، والاخلاق الاجتماعية هي أن يتصرف الانسان بحيث تتسق ارادات الاعضاء جميعا في تياراواحد ينتهي الى هدف واحد، اذ ينسق الله بين مختلف أجزاء الكون لتكون متعاونة على تحقيق هدف واحد.

وعرفت فلسفة الأخلاق على أنها مجرد فلسفة نظرية عقيمة. بينما تحيلها زيادة فرص تطبيقها إلى فلسفة أخلاقية عملية فاعلة. فوسيلة رويس التي عبر عنها بالولاء من أجل الولاء، لم تبتعد عن إمكانية التطبيق، وعندها فرصة كبيرة لتكون من أكثر الوسائل الأخلاقية فاعلية للوصول إلى مجتمع إنساني منسجم ومستقر مع القليل من الالتزام الإنساني والتغلب على الأنانية الفردية والعرقية والدينية. فبعض المجتمعات الغربية، والمجتمع الأميركي الذي ازدهرت فيه هذه الفلسفة، كانت النتيجة مجتمعات تعددية ومنسجمة في آن واحد. مع أنه وقت طرح أفكاره صرح بأنه «يشعر بالأزمة وبالعجز عن تحقيق المجتمع العظيم، ولا يسعه إلا تحقيق هذا المجتمع في يوم من الأيام، ولا يتمنى أن يحيا إلى اليوم الذي ينتصر فيه أعداد البشرية»[37]، والكثير من فلسفة "رويس" جاءت كرد فعل على الكثير من المسائل التي أثارها (كانط) وترك فيها الحكم معلقا أو غامضا.

[37] هبة عادل العزاوي، فلسفة المدينة الفاضلة وواقعية الفلاسفة المعاصرين، ص49.

2-اشكالية الاخلاق المثالية:

صاغ "رويس" مبدأه الاخلاقي على غرار ما فعل "كانط" في العبارة التالية" **اعمل بقدر مستطاعك كما لو كنت أنت وجارك في آن واحد، فانظر الى حياتيكما كأنما هي حياة واحدة"**[38]؛ وهو مبدأ ديني خاصة بقول **"أحب لجارك ما تحب لنفسك"**[39]؛أي أن يسلك الانسان ازاء جاره سلوكا يقوم على افتراض انه هو وجاره لم يعودا جزئين منفصلين كل منهما على الاخر، بل اندمجا في وحدة تنسق بينهما مع الابقاء على كل منهما، وهكذا تتم العملية بين بقية الافراد، وأن يعمل الانسان إزاء سائر الناس كما لو كان هؤلاء الناس أجزاء من ذات واحدة، والنتيجة هي ازالة التضارب التشاحن والبغضاء بينهم، وينخرط الكل في الواحد[40]، ومن بين اهم المشكلات الاخلاقية التي تواجه المذاهب المثالية نذكر ما يلي:

2-1--وجود الشر:

تعتبر إشكالية وجود الشر من المشكلات الأخلاقية التي تواجه المذاهب المثالية، حيث يرى "رويس"، أن الشر لا يوجد في العالم كوسيلة للخير، لأن معنى ذلك أن الخير والشر كيانان منفصلان، ويصبح الحصول على الخير مسبوقا بخبرة شريرة، ولا يتم ذلك إلا بوجود قوة محدودة، تحقق الخير من خلال توسط الشر، إن الله مطلق ولا وجود لأشياء مستقلة عنه، لذلك لا يعتبر الشر وسيلة للخير، بل ارتباط كل بجزء، فيستمد الخير وجوده من اللحظة التي يتم فيها اكتشاف الشر والسيطرة عليه. إن الشر عبارة عن واقعة تدفع جزئياتها إلى البحث عن الآخر، الذي يمكن من خلاله تفسيرها[41].

أما بالنسبة لوجود الشر فيرى "رويس" أن الوعي بالشر يحدث بسبب طبيعة الإرادة، والمثل الأعلى، فتحتاج الإرادة لعالم المستقبل الذي تعتبره عالم الوجود الذي

---

[38]- زكي نجيب محمود، حياة الفكر في العالم الجديد، دار الشروق القاهرة، د ت ط، ص96.

[39]- المرجع نفسه، ص96.

[40]- زكي نجيب محمود، حياة الفكر في العالم الجديد، المرجع السابق ص97.

[41]- احمد الانصاري: فلسفة الدين عند جوزايا رويس مرجع سابق ص 1932

تتحقق فيه، ولا تكون مشبعة تماما بالحاضر، لذا فهي تحيى بشعورها بعدم الرضى، بسب سعيها للمثل الأعلى دائما، لذا يرى رويس أن المثل العليا تساهم في الوعي بالشرور الزمنية[42]، وعن علاقة الشر بالعدالة الإلهية يرى رويس أن الإنسان غالبا ما يعاني من شرور لا ترجع إلى رذائله أو لإرادته الحرة أو لمعصيته، ويعتقد الإنسان عندها أن هذه الشرور تتعارض مع العدالة الإلهية ويطرح الإنسان سؤاله التالي: **"إذا كان العالم من صنع مدبر حكيم يعرف قيمة الخير، فكيف يسمح بوجود الشر؟"**[43].

وهنا يجيب رويس بنظرة غائية للعلم حيث يؤكد أن الموت والحروب مثلا عبارة عن شرور طبيعية وليست من فعل الله أو الشيطان، وان الآلام والأحزان ظواهر طبيعية تحدث بسبب الجهل ومحدودية الإنسان، لذا يعتقد رويس أن فهم الطبيعة من أفضل طرق تحقيق الخير كما أن وجود الشر في نظره يعتبر ضروري لحرية الأفراد، لأنها تتضمن منطقيا سماح الله بوجود الأفعال الشريرة، فبدون الحرية لا وجود لخير أعلى، وبسببها يستطيع أن يخطأ الإنسان[44].

ويصر"رويس" على الوجود الأصيل للشر، فقد جعلت دراسة شوبنهور للشر مستحيلا عليه أن ينكر وجود الشر ويصفه بأنه وهم أو مجرد شيء ظاهري، إلا أن رويس يفسر وجود الشر بأن الله لم يرد العالم بشروره بطريق عابثة، بل أراد الله الشر لكي ينتج الخير الأعظم الذي لولاه لما تحقق. ويقدم "رويس" أمثلة عديدة على فكرته هذه وتشبيهات منها "افرض مثلا أنك وأنا سمعنا بعض الأنغام الحادة عند عزف سيمفونية جعلتنا لا نستطيع أن نفهم بقية القطعة الموسيقية، فإن هذه الأنغام الحادة سوف تبدو لنا أنها شر تام. أما بالنسبة لله أو المطلق، من ناحية أخرى، يخبر الكون ككل، ماضية، وحاضره، ومستقبلية بطريقة أزلية، ويجد متعة

---

[42]- المرجع نفسه، ص 193.

[43]- المرجع نفسه.

[44]- المرجع نفسه، ص 194.

منذ الأزل، ومن ثمة تبريرا لكل الشرور العارضة، من حيث أنها أجزاء ضرورية من الخير الأزلي الدائم[45].

كما يقدم "رويس" أمثلة أخلاقية أيضا، "فيوسف" في القصة التي يروها الكتاب المقدس، خانه إخوته لكنها ليست خيانة على الإطلاق؛ لأنها أظهرت نبوته وملكه. ولاتزال خيانة"يهوذا"ليسوع" أكثر إذهالا ودهشة، ولولا هذا العمل الشرير، لما حدث موت "يسوع" على الصليب. لكن "يسوع"مات، وأيا كانت التفسيرات التاريخية والعلمية الصحيحة، فإن إتباع "يسوع" أصبحوا الآن يؤمنون بقوة بقيامته، وبلغت الكنيسة الأولى نتيجة للإيمان المشرك"بالإله" الذي رفع تجربة دينية أكثرا ثراء مما كان يمكن أن تصل إليه لولا خيانة "بوذا"[46].

ومن هنا يقرر "رويس" أن كل من يبتهج بشدائده وكربه الخاصة، ويتغلب عليها ويحولها إلى الخير في حياته الشخصية الحاضرة، عندما لا يستطيع أن يفعل ذلك كما في الغالب، وتواجهه في أي حدث المعرفة التي يرغب اللوغوس في أن تكون الأفضل، وتكون تلك الشرور بالنسبة له الآن جزء من بهجة الله المباركة والمظفرة فحقيقة أن الله يسمح للمخطئ أن يخطئ ويحول الله هذا الشر إلى خير دائم، لكن المخطئ يلام ويدان على نحو أزلي بسب الشر الذي ارتكبه والذي لا يصبح خيرا إلا عن طريق تضحيات بطولية من الآخرين[47]، ويقترب "رويس" من "هيغل" في اشكالية الشر حيث يعتبر "هيجل" ان الشر هو ما يصدر عن الانسان عندما يتبع ما هو جزئي ويبتعد عن ما هو كلي[48].

---

[45]- وليم كليرايت، تاريخ الفلسفة الحديثة، ت محمود سيد احمد، التنوير للطباعة والنشر بيروت لبنان، ط1 2010. ص: 474.

[46]- المرجع نفسه، ص 475.

[47]- المرجع نفسه، ص 475.

[48]- "Hegel, Lectures on the Philosophy of Religion", edited by Peter C. Hodgson, translated by R.F.Brown, P.C.Hodgson and J.M. with the assistance of H.S.Harris, University of California Press published 1988, p 455.

2-2-فكرة الله:

يرى رويس أنه لقد نتجت عن فلسفة كانط النقدية أن أصبحت فكرة "الله"و"النفس"و"حرية الإنسان" من مصادرات العقل العملي فقط، وخارج حدود العقل النظري، الأمر الذي سبب إشكالية حقيقية للديانة المسيحية التي تأسست على هذه الأفكار، وجاءت الفلسفات بعد كانط تعالج هذه الإشكاليات الناتجة عن فلسفة "كانط"، فرد"فشته"كل شيء إلى الأنا ووحد"شلينغ" بين "الأنا" و"اللاأنا"، وجعل "**هيغل**" المطلق حاويا لكل شيء، فوجدت المسيحية في هذه المثالية القائمة على الوعي بالذات دعما لأفكارها وازدادت النزعات الشكية والتشاؤمية اللاأدرية، طالما أن الشيء في ذاته لا يمكن معرفته، وظهرت فلسفة "**سبنسر**" وصار المطلق لا معروفا، وأصبح البقاء للأصلح قانونا للحياة، وجاء "رويس"بمشروعه التوفيقي حيث اتجه إلى تأويل المسيحية تأويلا فلسفيا حيث نجح رويس إلى حد كبير في تأويل المسيحية وصبغها بصبغة فلسفية جعلتها تتحدث بلغة العقل والقلب معا[49].

وفكرة الله من حيث أنها تجربة مطلقة شاملة كل الشمول، جعلت "رويس" مضطرا الة أن ينتبه الى مشكلة الشر ويفسرها ويهتم بها كما فعل "برادلي" حيث يرفض "رويس" في كتابه "دراسات في الخير والشر"(1898) أية محاولة لاستبعاد الموضوع عن طريق القول بأن المعاناة والشر الاخلاقي عبارة عن وهم، بل هما حقيقتان لأننا لا نستطيع تجنب النتيجة التي تقول إن الله يعاني عندما نعاني، ولابد أن نفترض أن المعاناة ضرورية من أجل كمال الحياة الإلهية. أما الشر الأخلاقي فهو مطلوب من أجل كمال الكون لأن الإرادة الخيرة تفترض مسبقا الشر بوصفه شيئا يجب قهره والتغلب عليه[50].

فرويس تشابه مع كانط كثيرا في مشكلة الشر، حيث قدم كانط دليل عقلي لتفسيره عندما يقول" **أن القانون الاخلاقي في نقائه وأصالته لا يبحث عنه في أي شيء اخر غير الفلسفة الخالصة"**[51]، فيرى أن الشر ضروري من أجل القول

-[49] احمد الانصاري : فلسفة الدين عند جوزايا رويس، مرجع سابق، ص 206.

[50]- فردريك كوبلستون، المرجع السابق، ص 388.

[51]- إمانويل كانط، أنطولوجيا الوجود،ت جمال محمد أحمد سليمان، دار التنوير،2009، ص 415.

بالحرية الانسانية، فلا يكتسب فعل الخير ميزته الا إذا كان فعل الشر ممكن الحدوث، فلا يقول كانط بالطبيعة الشريرة للإنسان، وإنما إمكانية الشر موجودة في الانسان كأساس ضروري للحرية[52].

ومن الواضح أن "رويس" يحاول رد الاعتبار للطبيعة ونظامها، فبعد أن اعترف بالعالم الخارجي والنظام الطبيعي وبالمعرفة الحسية بوصفها الوسيلة الضرورية لمعرفة عالم الوصف، فأكد قيمة العلم بوصفه لنظام الطبيعة الخارجي بالأخلاقية، فعالم الطبيعة يحمل القيم والمثل العليا، وبالتالي يقضي على حجة كل من يصف المثالية بأنها فلسفة تهمل العالم الخارجي ولا تنسب له أهمية، وتتجاهل وجوده، وتقلل من شأنه في مقابل كل ما هو روحي، فالطبيعة نظام آلي ولكنه لا يخلو من قيمة روحية، والمثالية قادرة على تقديم تفسير منطقي لمسألة وجود الشر في عالم المطلق والروحاني[53]، **ولكن هل تعد النظرة للشر بوصفه عنصرا ضروريا من خيرية العالم نظرة للاستسلام، -فالشر أمر طبيعي وركن أساسي من أركان الحياة الخلقية- أم أنها نظرة تدعو للإصلاح فالاعتراف بوجود الشر يعد بداية الطريق الانتصار عليه ؟**

من الواضح أن "رويس" كان رافضا للتشاؤم والاستسلام الصوفي ولبدا الخيرية الخالصة، وأكد على ضرورة وجود الشر بوصفه عنصرا أصيلا لتحقيق الإرادة الخيرة، وبذلك تصبح دعوته دعوة إصلاحية أخلاقية، فالاعتراف بالشر ضروري للقدرة على التغلب عليه وتأكيدا على أن الخيرية تعني الصراع والقضاء عليه، فالرغبة الشريرة قائمة، ولكن يجب التغلب عليها دائما ، ولقد جاءت معالجة "رويس" لإشكالية وجود الشر تسير في تيار المثالية الألمانية، وتشبه آراء "هيجل" بصفة عامة، وفشته" وشوبنهور" بصورة خاصة، وإن كان قد وصل إليها بمنهج

---

[52] Kant immanuel , religion within the limits, of Reason Alone,tr, T m Greene and H.H. Hudson, Chicago,th open court publishing company, 1934, p25.

[53]- رويس جوزايا، روح الفلسفة الحديثة، مصدر سابق، ص56.

مختلف، وبأدلة مختلفة، فاتجه إلى الخبرة الإنسانية المطلقة، ومن الذات الفردية إلى الذات المطلقة[54]..

فينتقل "رويس" من صفات الجزء إلى صفات الكل، ومن المحدود إلى اللامحدود، وكأن صفات الجزء لها كل صفات الكل! وإذا كان الوعي المحدود جزءا من الوعي المطلق أو الشامل **فكيف أن ما يحدث في المحدود يحدث في المطلق؟ وإذا تم اعتبار صفات الوعي واحدة ولا فرق بين المحدود والمطلق إلا في طول الفترة الزمنية وجاز هذا التوحيد فما الذي يجعل المطلق أشمل وأكمل؟**

من الواضح أن "رويس" قد اكتفي بحل الإشكالية، فالمطلق يجتاز بفترة زمنية طويلة، يحيا ويدرك، ما لا يستطيع الوعي المحدود إدراكه، ولكن ألا يعني ذلك أن الحقيقة تكمن في الفردي أو المحدود أو الجزء؟ طالما أن معرفة صفات المطلق أو الكل، تستند دائما إلى معرفة صفات المحدود أو الفرد، وتوحد فلسفة "رويس" بين الفرد والمطلق، فما ضرورة وجود المطلق؟ كذلك من الملاحظ أن " رويس " جعل كل خير نتاجا لكل شر أو لشر معين فهل بالضرورة يجب أن يكون كل خير نتاجا لشر؟ يقول "رويس": **إذا لم يوجد الشر لا وجود للخير**[55] ومن الواضح في معالجة "رويس" للشر أن وجوده للإنسان العادي لا يمثل مشكلة عليه أن يعاني منها، أو يحاول القضاء عليها، بقدر ما يمثل وجوده واجب أو مهمة عليه أن ينجزها ويتخلص منها.

2-3-الحرية الأخلاقية:

يرى رويس أن النظام الأخلاقي يعتمد على الاعتراف بوجود النفوس الفردية، وقدرتهم على فعل الخير أو الشر، طبقا لوجهة نظرهم ولإرادتهم الحرة، ويتحقق التقدم في النظام من خلال قيام الإرادة الفردية بواجباتها. فإذا كان العالم تعبيرا فرديا عن هدف المطلق، وهدف المطلق مركب، فإن وحدته هي وحدة إرادات عديدة تجد كل منها تعبيرها في حياة فردية، وهنا يطرح رويس مجموعة من الأسئلة وجدنا

---

[54]- المصدر نفسه، ص57.

[55]- رويس جوزايا، روح الفلسفة الحديثة، مصدر سابق، ص57.

أنفسنا مضطرين للإجابة عنها وهي: **هل هذا العالم بأوصافه يحقق مطالب النظام الخلقي والوعي الأخلاقي؟، ألا يكون النشاط الأخلاقي ظاهرة عرضية في ظل وحدة العقل والطبيعة؟، الا توجد حتمية أخلاقية ؟، وهل يمكن التوفيق بين المعرفة الإلهية السابقة والإرادة الحرة للإنسان**[56]؟

إن الوجوب الأخلاقي كما عرفه رويس، "**عبارة عن قاعدة إذا ما تم إتباعها في أي لحظة زمنية فإنها تعبر عن إرادة الفرد وتجعله أكثر قربا من الله**"، وإذا ما اختار الفرد مخالفة هذه القاعدة واختار سلوك العصيان، فانه يكون بتمرده وبعصيانه معبرا عن الوجوب، ويشير النظام الأخلاقي أو القانون الخلقي بالتحديد إلى أفعال وإلى نتائج مقصودة لها، تتبع بعضها البعض في تعاقب زمني أو تدرك باعتبارها متعاقبة، ومن هنا يرى رويس" **أن ميتافيزيقا السلوك الإنساني تخضع للشروط العامة نفسها التي تحكم ميتافيزيقا أي عملية زمنية**"[57].ولذلك تكون الذات واعية بتقابلها مع الواقع بوصفه الآخر الذي تحتاجه، للتعبير عن هدفها الداخلي، فيظهر الوجوب في صورة المبدأ، الذي يطالب الذات بالتوفيق بين إرادتها وإرادة العالم من خلال الطاعة للنظام الخارجي[58]، "**فعلى الفرد ان يعيش حياته الاخلاقية وفق ارادته الحرة، وبدون هذه الارادة الحرة تصبح المفاهيم الاخلاقية ،عقيمة بل مستحيلة، ويصبح لا معنى للمسؤولية ولا للعقاب**" [59].

"إن حرية الذات تعتمد على القول، بأن في الكل الفريد لحياة المطلق تكون فيه كل ذات فريدة في ذاتها وبالتالي فكل ذات تكون حرة في أحد جوانب طبيعتها، فإذا تمت رؤية هذه الحقائق في ضوء التفرقة بين الزمني والأبدي، فإن كل ذات أخلاقية تعبر عن نفسها في سلسلة من الأفعال، يكون لكل فعل مكانه الفريد في حياة فريدة ويكون في حد ذاته فعلا حرا، ولكن في مقابل **هذا ألا تسعى الذات**

---

[56]- المصدر نفسه، ص 185.

[57]- جوزيا رويس: العالم والفرد، ج2 ت احمد الانصاري نالمركز القومي للترجمة القاهرة 2008 ص230.

[58]- احمد الانصاري: فلسفة الدين عند جوزايا رويس مرجع سابق، ص 186.

[59]- وليام ليلي، مقدمة في علم الاخلاق، ت على عبد المعطي، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2000، ص 205.

لتحقيق وحدتها مع الآخر؟ وبالتالي لا يمكن أن تكون حريتها حرية أخلاقية؟، ألا يعتمد الصراع بين"مايجب" وبين "ما لايجب"على الجهل أي أن الذات المطيعة هي فقط جاهلة بخيرها الحقيقي، وبالتالي لاتكون الأفعال الخلقية إلا مجرد تعبير عن "معرفة"أو"جهل"ولا تعبر عن الحرية؟

وهنا يرى رويس أن للذات الإنسانية القدرة على إنتاج الأفعال الزمنية الأخلاقية، فالحرية الأخلاقية هي الحرية في الانتباه أو عدم الانتباه لوجوب يكون حاضرا بالفعل في الوعي المحدود، وتكمن هذه الحرية الأخلاقية للفرد في تغيير عالمه إلى الأسوء أو إلى الأفضل، فبالرغم من كونه إحدى تعبيرات المطلق، وبالرغم من كمال العالم وخيرية الكل، فيستطيع "الفاعل" أن يجعل عالمه أفضل أو أسوا أي العالم الذي يراه في علاقته بفعله وعلى جزء من الواقع وليس الواقع كله".[60]

كما يرى رويس انه ليس هناك علاقة حتمية أخلاقية، أي لا حتمية في الأخلاق، فيستطيع الفاعل اختيار الشر أو تجنبه بأن يختار الخير، وبالتالي لا تعارض بين قدرة الفعل الأخلاقي على تغيير العالم، ومع وصف عالم المطلق بالكمال وبأنه العالم الوحيد الممكن وجوده، وإن تطابق الفرد مع المطلق لا يكون بدون اختلاف وهذا ما نجده عندما تتحول أفعال التكفير من أفعاله الشريرة إلى خير، وتتصالح إرادته، كما لا يتعارض تأسيس الوعي الأخلاقي على التضاد بين "ما هو كائن "وبين" ما يجب أن يكون"، لأن ما ينبغي أن يكون واقعا في النظام الأبدي، إن عالم المثالية ذو نظام أخلاقي يكون لكل فاعل مكانه وواجبه وحريته وقيمته الفردية ويتحقق له ذلك بسبب وحدته بالوجود وبالله، وتتصف أفعاله بالحرية، لأن إرادة الله تعبير عن نفسها من خلاله باعتبارها أساس حريته، فالعالم كما فسره رويس **"يتحقق من خلال الأفعال الحرة للإنسان سواء كانت خيرة أو شريرة أو تكفير"**[61].وهنا نلمس الامتداد الكبير للفلسفة المسيحية في تفسيرها للأخلاق عند رويس.

---

[60]- وليام ليلي، مقدمة في علم الاخلاق، المرجع السابق، ص 189.

[61]- المرجع نفسه، ص190.

كما يرى رويس أن عالم المطلق الذي يشمل كل شيء، لا يمكن أن يحدده أي شيء خارجه، ويكون حرا بهذا المعنى، ومع ذلك فكل الأحداث تحدث في نظام مطرد، فليس هناك شيء من عناصر المصادفة، أو حدوث شيء عرضا في الطبيعة، كما تستمر في الزمان، وبهذا يكون "رويس" فيلسوفا حتميا، فالعالم كما يوجد هو تعبير عن الإرادة الأزلية للمطلق؛ فرويس من أنصار "الجبر الذاتي" بالنسبة لموضوع الحرية فنكون بالنسبة لها أحرارا ومسئولين أخلاقيا، إن لكل منا فرديته الفردية الخاصة، وله قيمته الخاصة بالنسبة لله، ولا يمكن لأحد منا أن يحل محل الآخر، ونحنا عندما نكون مدركين لهذا التفرد كما ندرك قيمنا الخاصة ونكون ملهمين بسبب ذلك وبالتالي فنحن أحرار، وعندما لا نفعل ذلك نقع في العبودية[62]. ويجعل الله يشارك في كل حياتنا الواعية، ويدركها مباشرة بطريقة أكثر تعاطفا، وهو ما وضحه رويس" من خلال معالجته لمشكلة الشر.

إن الحرية الأخلاقية تمكن الفرد من تغيير عالمه إلى الأفضل أو إلى أسوأ، على الرغم من كمال العالم وخيرية الكل، والحرية الأخلاقية -بحسب رويس -لا تستقيم بانفصال الأفراد عن بعضهم البعض، فأفعال الناس تتأثر ببعضها ما يجعل المسؤولية الأخلاقية جماعية يقول رويس: **"تتمثل حريتك هنا والآن في تفرد فعلك، فليست إلا قدرتك الفريدة التي لا يمتلكها غيرك"**[63] ثم ينتهي إلى القول بأن **"ليست مشكلة الحرية إلا مشكلة الفردية، فإذا كنت ذاتا ولست فردا آخر-وأعبر في الوقت نفسه عن هدف محدد-فأني أكون إنسانا حرا"**[64].

ويرى "رويس" أن عالم المطلق والذي يشتمل على كل شيء لا يمكن أن يحدده شيء خارج عنه، أي أنه محدد بذاته ويكون حرا بهذا المعنى، وبالتالي فجميع الأحداث تحدث في نظام مطرد، فليس هناك عنصر من عناصر المصادفة، فرويس الى هذا الحد يكون فيلسوفا حتميا، فالعالم كما يوجد هو التعبير عن الارادة الازلية للمطلق،

---

[62]- وليم كلي رايت: تاريخ الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص 474.

63- هبة عادل العزاوي، فلسفة المدينة الفاضلة وواقعية الفلاسفة المعاصرين، الطبعة الأولى، لبنان/كندا، 2016، ص32.

64- المرجع نفسه، ص32.

ويبدوا أن "رويس" ينسب اللاحتمية الى الله في الاختيار الازلي لهذا الكون الجزئي، ويكون الله بهذا المعنى محدد تحديدا أزليا ذاتيا، ولذلم يربط "رويس" في تصوره لإرادة الله الحتمية واللاحتمية بطريقة غير عادية لكنها غير متناقضة أيضا[65].

من هنا يظهر "رويس" من أنصار الجبر الذاتي بالنسبة للحرية البشرية، فحياتنا تفصيلات بداخل تجربة "اللوغوس" المنسجمة منذ الازل، وأفعالنا هي التي تحدد اختياراتنا الخاصة، وبالتالي نكون بالنسبة لها أحرارا ومسؤولين أخلاقيا، صحيح أن كل فعل نقوم به في تتابع الاحداث الزمانية تكون له علة، لكن تتابع الاحداث في الزمان الذي نحلله تحليلا عليا لا ينتمي الى عالم الوصف، لأنه لكل واحد منا فرديته الخاصة، وله قيمته الخاصة بالنسبة لله، ولا أحد يستطيع أن يحل محل الاخر، وعندما يدرك الفرد منا هذه القيم الخاصة، نكون ملهمين واحرارا، وعندما لا نفعل ذلك نقع في العبودية ونكون غير أحرار، ولقد اعتقد "سبينوزا" أن الناس يكونون مستعبدين وغير أحرار طالما أنهم ينظرون الى أنفسهم على أنهم مجرد حلقات في سلسلة الاحداث المؤقتة، لكن طالما أنهم يستطيعون أن يتجاوزا الزمان وينظرون الى أنفسهم من منظور الازل، وينشغلون بالحب العقلي لله، فإنهم يكونون أحرارا، ونجد أن رويس يتشابه كثيرا في هذه النقطة مع "سبينوزا"، مع تشديده على القيمة الفردية للأفراد، ويجعل الله يشارك في كل حياتنا الواعية ويدركها مباشرة بطريقة أكثر تعاطفا وتخلو قليلا من صفة الشخصية[66].

2-4-البناء الخلقي للعالم:

يقدم رويس تحليلا مثاليا للبناء الخلقي للعالم، فيرى انه يستحيل استقلال الأفراد أخلاقيا ويتأثر الناس بأفعال بعضهم، لان المسؤولية الخلقية جماعية، فيعاني الخير من نتائج أفعال الآخرين ولا تستقيم الحرية الخلقية بانفصال الأفراد عن بعضهم البعض، إذا لم يعق الفرد من أفعال الآخرين لا يستطيع مساعدتهم أو

---

[65]- وليم كلي رايت: تاريخ الفلسفة الحديثة مرجع سابق، ص 473.

[66]- وليم كلي رايت: تاريخ الفلسفة الحديثة مرجع سابق، ص474

تقديم الخير لهم، والشر عنصر أصيل في الوجود، لا يطالب "رويس" بتجاهله أو مقاومته وإنما معالجة أثاره، فكل واحد منا يستطيع اختيار فعل الشر ولكن عليه أن يدرك أن نتائج الأفعال التي قام بها يتم محو آثارها بالأفعال الخيرة التي يقوم بها الصالحون[67].

فالشر له وجود حقيقي ويحتاج دائما لأفعال التفكير، وبالرغم من إعلاء شأن المجتمع والتماسك الاجتماعي الذي يؤكد عليه رويس ويمثل الفكرة المحورية في مذهبه فإنه يطلق العنان لحرية الإرادة ولا يطالب بتعطيلها أو حجبها، فالواضح أن الإنسان خير بطبيعته، وإن كان هناك شر فالأعمال الخيرة تقضي على نتائجه، وهناك دائما فاعل الخير الذي ينتصر في النهاية؛ من خلال نظرة إيمانية تثق في كمال العالم وقدرة المطلق على استيعاب خطاياه، ويكمن عزاء الفرد الحقيقي في وحدته مع الله في العالم الأبدي وهكذا يتحول "رويس" من الفيلسوف إلى الداعية، يخاطب الوجدان ويدعو للإصلاح، **لا تنظر لمصدر الشر أو تبحث عن فاعله وإنما عليك أن تفعل الخير وتعالج الأخطاء**[68]؛ دعوة براغماتية تبحث عن النتائج ولا تبحث عن أصل الفعل ومصدره، وتبرر وجود المعاناة وتحمل المسيح" لأخطاء البشرية، دعوة حالمة تشبه ما يقال عن عدم مواجهة العنف بالعنف، اعتمد "رويس" في تبرير وجود الشر على التحليل المنطقي لمفهوم الخير، ووجود الإرادة الخيرة التي تضم الإرادة الشريرة مهزومة، ولكنه لم يقم بمثل هذا التحليل على مفهوم "العدل"، واضح أنه لم يستطع التخلص من آفة المثالية والتحليق في الفضاء بين التصورات وأهمل الواقع والطبيعة البشرية[69].

فيطلق "رويس" على عالم التقدير اسم عالم الحرية، ولتفسير هذه العلاقة بين الحرية وعالم التقدير يقدم رويس عدة اسئلة يعالج من خلالها هذا التوافق، وهنا يتساءل رويس: ما صلة ارادتنا بهذه الحرية؟ ألسنا ملزمين بمكاننا في نظام العالم، السنا مجرد مكعبات صماء داخل هذه اللعبة التي يمارسها الواقع؟ وكيف

---

[67]- رويس جوزايا، العالم والفرد، ج2، مصدر سابق، ص15.

[68]- المصدر نفسه، ص15.

[69]- رويس جوزايا، العالم والفرد، ج2، مصدر سابق، ص15.

أكون انسانا حرا؟ وهل لدينا القدرة على تحقيق الحرية الاخلاقية؟[70]، يجيب "رويس" هنا مباشرة بعد تحليله وتبسيطه لهذه الأسئلة او المشكلات، بالقول بأننا نتمتع بالحرية الاخلاقية، لأنه الذات ينظر لعالمه بطريقتين:

النظرة الاولى: بوصفه سلسلة من الحوادث الزمنية، تسبب الاحداث السابقة اللاحقة.

النظرة الثانية: بوصفه عالما كاملا أبديا، قد قدر أهميته واختياره وقدره فكرايا منذ الازل، ونحن طالما كنا كائنات تمارس الاحكام الخلقية، ونقوم بتقديرات فكرية مثالية، فإننا نعتبر جزءا من هذه الذات، لا نحيا فقط فوق الزمان ووراءه، وما نحن الا مجرد وقائع زمنية في هذا العالم، وهو ما ينسبه "رويس" الى مذهب "كانط" المشهور والذي سماه "الحرية المفارقة للزمن" أي المتتالية والضرورة الزمنية لكل أفعالنا، فالنظم الروحية والطبيعية والمادية والاخلاقية والالهية والانسانية، الحتمية والحرية يمكن التصالح بينها، فاذا ما تم هذا التصالح بينهم وتحقق هذا التوافق، فلن نعود نخشى القدر، أو نفزع من الطبيعة، أو ندعو لحدوث المعجزات لإنقاذ المثل العليا، فيحدث ما يسميه رويس الوئام بين الله والقيصر، وهو ما يعتبرها رويس الحقيقة العميقة للحرية[71].

ويؤكد رويس أنه إذا صح هذا الاقتراح، فإننا نكون مقيدين وأحرار في نفس الوقت، فنحن مقيدون من وجهة النظر الزمنية، وأحرار من وجهة النظر الابدية أو بالنسبة للذات الحقة، لأنه حسب "رويس" ندخل النظام الالهي بطريقتين: ففي هذا العالم نعد واقعة من وقائع الزمن وأحد أفراد سلالة الحيوان؛ أي مخلوق يتميز بالعقل، ومقيد بطبيعتك منذ الازل، ولكن النظام الزمني بالنسبة للذات الحقة او المطلق، الذي تشارك فيه وتعد جزءا منه مجرد طريق واحد ينظربت للحقيقة، لان النظام الابدي يكون أمامه في لمحة واحدة، والفعل الذي اختاره ليس فعلا زمنيا، وانما فعل مجاوز للزم، او كما سماه "كانط" المفارق للزمن، ومع ذلك فهو فعل

70- رويس جوزايا، روح الفلسفة الحديثة، مصدر سابق، ص454،455

71- المصدر نفسه، ص456.

تشارك فيه، وتختار هذا العالم الذي يضمك، وتصبح بهذا الشكل واقعة من وقائعه[72].

لقد اختار الذات هذا العالم من القيمة التي يحملها، فتشارك بذلك إرادتك ووعيك وشخصك المفارق للزمن في هذا الاختيار أيضا، لأنك جزء من هذا الذات الكلي أو الشامل ، او ما يسمية رويس الذات الحقة والعميق، والذي اشرنا اليه سابقا، فإذا كنت لست حرا من الناحية الاخلاقية في تغيير قوانين هذا العالم، فنك حسب قول رويس "تكون حرا وكائنا أخلاقيا، لأنك بالمعنى الابدي تكون جزءا من ارادة خالق هذا العالم الابدي، الذي لم يصنع العالم في أي لحظة من لحظات الزمان، وإنما اختياره لهذا العالم القابل للوصف، هو ما يشكل عالم التقدير، وعالم الحقيقة، وعالم الحرية"[73]. وهنا نجد فلسفة رويس كانت فلسفة كانطية في أصولها، وروحها هيجيليه من خلال "مطلق هيجل"، فالأخلاق عند كانط ارتبطت بالإدارة الناجحة من العقل الواعي الإنساني.

[72]- رويس جوزايا، روح الفلسفة الحديثة، مصدر سابق، ص457.

[73]- المصدر نفسه، ص458.

3-الفلسفة الأخلاقية لجوزايا رويس

يعتبر رويس أن النظام الأخلاقي وعلاقته بالواقع يشكل الدعامة الأساسية للفلسفة الدينية، فقد لا يعرف الإنسان نشأته ومصيره أو صلته بالطبيعة أو الله ولكنه يدرك أنه يحيا في وسط مجموعة من الأفراد عليه أن يتعامل معهم فيسعى دائما لتشكيل مثاله الأخلاقي الذي يلتزم به حتى تستقيم حياته والحياة الإنسانية عامة، لذلك تتناول دراسة الأخلاق البحث عن المثال الخلقي أولا ثم مناقشة العلاقة بينه وبين الواقع ثانيا وتتميز المشكلة الأساسية في المشكلة الخلقية في الطبيعة بين الصواب والخطأ أو مدى صدق هدا التمييز **وهل من الممكن تشكيل المثال الأخلاقي من داخل الذات وبعيدا عن أي نظرية في العالم الطبيعي ؟أم من الممكن تشكيل المثل أولا ثم يطلب من العالم الخضوع له**؟ ويبين رويس هنا أن هده الإشكالات قد أدت إلى صراع المثل الأخلاقية ونمو الشك الأخلاقي عبر مراحل عده والتي تمثل كيفية الانطلاق من مرحلة الشك إلى تكوين مثال أخلاقي صحيح وهي كالتالي:

3-1-صراع المثل العليا:

إن نظرة الفلاسفة لمعيار التمييز بين الخير والشر تختلف باختلاف اتجاه كل واحد منهم، فالفيلسوف الواقعي يرى أن معيار التمييز بين الخير والشر هو "العالم"، وعلى الإنسان أن يدرس "الواقع" ليستنبط منه مثاله الأخلاقي، وبالتالي فلا بد من الخروج بنتائج في الواقع لهذا المثال. أما الفيلسوف المثالي فيقرر أن الإنسان يبني"مثاله"من الداخل، ويتعلم من الواقع العلاقات التي يجب أن يطبق عليها "مثاله" فغاية الفعل الأخلاقي مستقلة عن أي نتائج من الممكن أن يحققها في الواقع، ويؤكد لنا رويس انه ليس بالضرورة أن يأتي "المثال" متوافقا مع المجتمع، وقد يعترض الواقعي على أنه إذا كان للفرد أن يختار "مثاله"فان المثل تأتي مختلفة كما تأتي الأحلام، والمثال عند كانط هو الفكرة في ذاتها، كما أن المثال الافلاطوني في نظر كانط هو مثال عملي وصورة حددها العقل قصرا لتكون معيارا للعقل الخلقي[74].ومن

[74]- مراد وهبة، المذهب عند كانط، ت نظمي لوفا، المكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، 1979، ص116.

هنا تظهر لنا عدة تساؤلات عن الأساس الذي بناءا يتم عليه اختيار المثال، وعن **ما هو المثال الأفضل، هل الذي يمكن تحقيقه، أم الذي يكون صائبا بذاته؟ وهل نستمده من الوعي والضمير أم من العالم الخارجي؟**[75]

الضمير كما يراه رويس هو حاجة الانسان البسيط في جميع الأحوال الى تأويل رؤيته للمثل الأعلى في ضوء مفهوم الله أو الحياة الخيرة أو القوة الروحية التي قد تقترحها عليه تقاليده الاجتماعية ودرجة نضجه الفكري، ومهما كانت المقترحات التي يأخذ بها الانسان البسيط في لحظات الرؤية الواسعة بوصفها القانون أو الدافع الذي يجعل الحياة نسقا متكاملا، وكلا متسقا، فإن الانسان يراه إرادة الهية والحقيقة التي تحقق الخلاص، إن كان الخلاص ممكننا[76]، والضمير الأخلاقي هو الذي يدلنا على الشعور بالمبادئ والتمييز شبه الغريزي لقيمة الفعل الحاضر، وهو حسب ماثيو أرلوند "الايمان بذلك الشيء الذي هو غير ذواتنا والذي يعمل من أجل الخير"، وهو كما يراه هرمان راندال "جهادنا مع المسيح لتحقيق العدالة والمحبة، حيث نعرف حقيقة الله، ويصبح الدين نوعا من الشوق الأخلاقي أو الإرادة الإلهية[77]،وهكذا تؤكد الفلسفة كما يوكد الفكر الإنساني معنى الضمير الذي كانت الأديان التوحيدية الثلاثة قد كشفت عن محوريته، وإن تمايزت فيما بينها حول عمق وشكل حضوره.

ويرى رويس أن المذاهب الأخلاقية قد عانت من على مر التاريخ من تضارب وصراع المثل الأخلاقية ذاتها، ومن تناقض هده المثل في الواقع، فيصر كل مثالي على أن مثاله الأخلاقي هو المثال الصحيح، فقال أفلاطون بالعدالة وانتصار العقل على الرغبات وأكد الرواقيون على العقل باعتباره أساسا للقيم الخلقية فالكل متساوون أمام العقل الكلي، وقد جاءت الأخلاق المسيحية امتدادا "للرواقية"، فجعل "المسيح" الانسجام مع الحب الإلهي جزاء الخيرية، واستبدل المحبة بالعقل، فإذا

---

[75]- أحمد الأنصاري فلسفة الدين عند جوزاي رويس (مرجع سابق) ص182

[76]- صلاح سالم، المشترك التوحيدي والضمير الإنساني، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط1، 2011، ص95.

[77]- المرجع نفسه.

كانت الرواقية قد اعتبرت الله هو العقل، فلقد أعطى المسيح لفكرة الله الحياة والمحبة والحيوية، ومن خلالها ظهرت فكرة الواجب الأخلاقي، وأصبح الواجب معيارا للتمييز الأخلاقي بدلا من العقل[78].كما جاءت الأخلاق المسيحية معتمدة على الحدس الفطري ونظرت لله كأب فمن الصعب البرهنة على فكرة الأبوة نفسها، وبذلك يعتبر رويس أن مشكلة الأخلاق الرئيسية تكمن في عدم القدرة على البرهنة عن سبب اختيار مثال خلقي معين دون آخر أو صعوبة التمييز بين مثال وآخر "**فان أمكن الحكم على الأفعال الفردية من خلال مثال معين فمن يستطيع الحكم على المثال نفسه ؟**"[79]،فقد يتخذ فردا ما أفلاطون أو الرواقية أو المسيحية مرشدا أخلاقيا له، ولكن غالبا ما تظهر موافق تتعارض مع هذه المثل الأخلاقية وقد وتدفع للشك وتطالب وبالبرهان.

وتواجه الفلسفات الأخلاقية التي تقيم الأخلاق عل "الضمير" الوجدان، اعتراضات جمة، فإن كان الضمير يصلح في مجال الأخلاق العملية، فانه لا يصلح في مجال الأخلاق النظرية، وبالتالي لا يستطيع التمييز بين الصحيح والخطأ، وليس مثالا ولا يعد أساسا واضحا لأي مثال خلقي، ولا يستطيع التمييز بين مثال وآخر، ومن هنا فهو يقوم على المشاعر، فلا يحل المشكلات بقدر ما يخلقها.

و إن قال السفسطائيون بأن ضمائر الناس والأجناس والأمم تنطوي في الحكام الخلقية فهي تحتاج لشيء أخر تستند عليه لاختيار هده الضمائر وان تأسيس الأخلاق على الوجدان يؤدي إلى الكثير من التساؤلات **فما الذي يجعل الإنسان يطيع ضميره ؟، ومن الذي يجعل حكما من أحكام الضمير صائبا؟، وكم من المذابح والمجازر ارتكبت باسم الضمير؟**، إن إقامة الأخلاق على وجود الله أو وجود الضمير في نظر" رويس" يواجه دائما بشك حول طبيعة وجودهما، ويقرر"رويس"أن الصعوبة التي تتسبب في تضارب المثل الأخلاقية، تتمثل في حاجتها إلى قاضي أعلى ليحكم بينها، **فإذا ما بحث هذا القاضي في العالم الواقعي فإن مثاليتهم تتعرض للخطر، وإذا ما فتش الناس عنها في ضمائرهم فإن الصراع يتصاعد لأن أي منهم**

---

[78]- أحمد الأنصاري فلسفة الدين عند جوزاي رويس مرجع سابق، ص 183.

[79]- المرجع السابق، ص182.

لن يكون هو القاضي الوحيد[80].كما أن الفلسفات الخلقية، التي حاولت التخلص من إشكالية المثل الخلقية، فقالت بالواجبات الاجتماعية والفردية، نجدها واجهت نفس الصعوبات المتعلقة بالمثل الأخلاقية، وهنا يقدم لنا رويس مثالا في مسالة التمييزبين "الغيرية"و"الأنانية"**فما معيارصحة هذا التمييز؟، وماهوالأساس الذي قامت عليه القاعدة الخلقية والتي تقول "حب لجارك ما تحب لنفسك"؟**

هنا يقرر رويس أنه إذا كان جارك له وجود حقيقي مثل وجودك، فانه يشعر بالحياة مثلما تشعر ويعاني المشكلات وصراع الرغبات والقرارات المصيرية، يكره الآلام ويحب الأفراح وربما عندما تحب جارك وتشفق عليه تزيد مشاعرك حجاب الوهم للحظة قصيرة فتدرك انه ذات حقيقة مثل ذاتك الحاضرة[81]، ويوجه رويس هنا نقدا لاذعا لسبنسر فلقد قال "سبنسر" بضرورة التوازن بين الغيرية والأنانية ولكن وصف الغيرية بالأنانية لا ينهي الصراع؟ إن ما يهم بالنسبة للعلاقة بين الأنانية والغيرية، أن هناك نوعين من السلوك أحدهما يدعو لاحترام الغير، والعمل لصالحه، والآخر يطلب النظر إليه كمجرد أداة للسعادة الشخصية، وهنا يصرح رويس أن مشكلة الأخلاقيين تكمن في كيفية التمييزبين هذين النوعين، **وهل نعتبر الأنانية خلقا، أم هل الغيرية تمثل مثالا أفضل؟**

يوجه رويس في دراسته هذه نقدا شوبنهور الذي قال بأن "**الإيثارمبدأ واضح بذاته، ولا يمكن رد الشفقة أو العطف إلى الأنانية. فالعاطفة هي المبدأ الوحيد الغير أناني في الإنسان، ولذلك تعد الشفقة هي أساس السلوك الصائب في الإنسان والدافع الأخلاقي الوحيد**"[82]، لكن في مقابل ذلك وإن قال "شوبنهور" بالعاطفة فكيف يتم شرحها وتفسيرها لفرد الغيرعطوف، "**كما أن الأنانية تنمو في الوقت الذي يحتاج فيه الغيرللمساعدة**"[83].أن المثالي الأخلاقي يرغب أن يحكم على

---

[80]- جوزايا رويس روح الفلسفة الحديثة، تـ أحمد الانصاري، المجلس الاعلى للثقافة، الجزيرة، القاهرة، ط1، 2003، ص 174.

[81]- المصدر نفسه، ص 135.

[82]- جوزايا رويس روح الفلسفة الحديثة، المصدر السابق، ص 175.

[83]- المصدر نفسه، ص 175.

العالم من خلال مثال أخلاقي، وبذلك يكون سنده الوحيد لهذا المثال الذي يحكم من خلاله في انه موجود، ومن هنا كان لابد للمثال من أساس فكري مثالي، ومن هنا يوجه المثالي نفس الانتقادات التي وجهت للواقعي[84]، ومن هنا رأى رويس بأن الفيلسوف المثالي إن كان صادقا في اعتراضه عل أنصار هوبز أي الرغبة والمنفعة، وبأن فروضهم لا قيمة لها دون المثل فانه يواجه بالتحدي بأن يبين أن مثاله الخلقي ليس مجرد نزوة وليس مؤسسا على نظرية أو مذهب في الطبيعة لذلك سوف يقع في الشك لا محال.

3-2-الشك والتشاؤم الأخلاقي:

بعد عرض المشكلة الأخلاقية وإشكالات المثل الخلقية وما ينتج عنها من شك وتشاؤم يبدأ رويس في تحليل الشك الخلقي فيرى أن الشك يعبر عن التشاؤم والقلق الذي يشعر به الفرد عندما يتناول غايتين أو إرادتين متعارضتين، ولا يظهر الشك بين اختيار إحداهما وتجاهل الآخر بل بسب الرغبة في تحقيقهما معا فهو ليس شك بسب الجهل المعرفة لذا يكون الشك الأخلاقي في حد ذاته نتائج فعل أو نشاط يسعى الوعي من خلاله إلى تحقيق الغايات المتعارضة داخله ، ويعتبر رويس بأنها ملاحظة في غاية الأهمية تبين أنه بالرغم من كل الشكوك الأخلاقية فان هناك غاية تجعل الشك ممكننا لذا يتضح أن مذهب الشك الأخلاقي لا يخلو تماما من هدف أخلاقي، وهو الجهد لتحقيق الانسجام الكامل يسبق الأهداف المتعارضة.

بدأ رويس مع شوبنهور بالتشاؤم من خلال "اليأس من شك لا يعالج"، حيث لا يوجد أي إلزام عقلي لقبول هكذا مثال أخلاقي دون مثال أخر، إلا أن هذا الشك في نظره يحتوي في قلبه على الحقيقة والتي نذرنا أنفسنا لاكتشافها، لمعرفة أن كل مثل خاص يجب أن يتطابق مع مثال مطلق، يصبغه رويس بالطريقة الكانطية حيث يقول رويس: **"بمقدار ما تجد هذا من ضمن قدراتك، تصرف كما لو كنت في نفس الوقت جارك وأنت فتعامل مع هاتين الحياتين كحياة واحدة"**[85]. أي أن

---

[84]- المصدر نفسه، ص 176.

[85]- جيرار ديلودال: الفلسفة الأمريكية، مرجع سابق ص257.

تجعل حياتك وحياة جارك متطابقة، إذن نجد أن مثالية "رويس" ليست مثالية فردية، بل على الفرد الاشتراك في تحقيق إرادة كلية مطلقة.

وفي كتابه "الجانب الديني للفلسفة "يحاول رويس معالجة إشكالية الشك والتشاؤم الخلقي والذي ظهر لنا من خلال صراع المثل العليا، حيث يبدأ دراسته بمقولة أحد الشعراء والتي يقول فيها **"كم يطول الليل لمن جافى النوم عيونه، وكم يطول الطريق أمام من أعياه التعب، وكم تطول الحياة للأحمق الذي لا يعرف القانون الحقيقي"**، إن تحول المثالي إلى الشك يبدو على حسب اعتقاد رويس المخرج الوحيد لاختيار مثاله الأخلاقي، فلو كان قد اكتفى بمعيار اقل أو لم يصر على اختيار مثله الأعلى بمناهج مثالية لكان قد ظل آمنا، أو على الأقل في الوضع الآمن الذي يحتله مؤقتا؛ ولكنه دائما ما يتجاوز هذا الوضع، فقد تقدم لنا بعض الوقائع الخارجية أو بعض الحالات العقلية نفسها، فنتساءل نحن ربما يوجد المثل الأعلى الذي ابحث عنه هنا وبالتالي ارتاع وعمل به، لكن سرعان ما تنبت جذور الشك داخله، وتتهمه بعدم الإخلاص، فيخاطبه شكه: **ما هذا المثال الذي وجدته؟ أم أنك فقط تصادفت في وجوده؟** فيجد صاحبنا المثالي نفسه ملزما بالقول **"لم أتصادف بوجوده، بل بسبب اختياري الحر له لإرشادي وتوجيهي انه مثلي الأعلى"**[86]، وعندها يظهر الاتهام المتكرر له، من حيث أن النزوة أو الرغبة هي الأساس الوحيد لهذا المثل الأعلى، لذا يبدو أن المذهب الشكي، أو الشك المطلق في الأخلاق يفرض نفسه علينا.

والواقع كما يوضح رويس أن في مثل هذا النوع من الشك يمكن أن نجد السبب الحقيقي لقوة المذهب التشاؤمي الحديث، فلا نجد الأساس الحقيقي لليأس في تحقيق المثل العليا التي نكون قد اخترناها، وإنما في ترددنا المستمر وحيرتنا عند اختيار هذه المثل العليا نفسها، وهنا يقول رويس **"اختر لنفسك مثلا أعلى، فيصبح لديك دور تشارك به في بناء العالم. فإن كان المثل الأعلى الذي وضعته لنفسك مثل المثل العليا التي يصعب تحقيقها فإنك لن تصاب باليأس أو التشاؤم، وإنما تشعر على الأقل بنوع من المتعة، من استسلامك الإرادي الحر لخدمة هدف من**

[86]- جوزايا رويس. الجانب الدينى للفلسفة، مرجع سابق، ص 97.

الأهداف النبيلة".[87] أما إذا كنت تحاول البحث عن مثل أعلى، يستحق التزامك به وأصابتك الحيرة والتردد، فإنك واقع لا محالة في مصيدة التشاؤم، لذا يلاحظ رويس أن المتشائمين، لا يهتمون كثيرا بشرور الحياة، وبكونها وقائع حقيقية، بقدر اقتناعهم بأن الحياة لا هدف منها

ويعتقد رويس أن الفيلسوف المثالي لا يتمسك بمثله الأعلى بسبب واقعيته، وإنما بسبب اختياره الحر لهذا المثال، لذلك غالبا ما نجد أن "الهوى" أو الرغبة، هي الأساس الوحيد لهذا الاختيار، ومن هنا رأى رويس أن الأساس الوحيد للأخلاق هو الشك الكامل، حيث دفع هذا الشك الأخلاقي بعض الفلاسفة إلى التشاؤم أو القول بعدم جدوى المثل العليا. فأكد "شوبنهور" على عدم جدوى الحياة، ووجدت "البوذية" أن اختيار الفرد لمثل أعلى يولد صراعا بين المثل العليا، فالأخلاقية ليست احتجاجا على الشر في العالم وإنما دليل على لعنة المثل، ويشير رويس إلى أن الشعر الحديث اتجه للقول بفراغ الحياة الخلقية، وبذلك شكلت الانفعالات العنيفة الحالات النموذجية للوعي الأخلاقي، كما أن رويس يرى **"أن الشعر الرومانسي يؤدي في النهاية إلى التشاؤم"**[88].

وبعد عرض المشكلة الأخلاقية وإشكالات المثل الخلقية وما ينتج عنها من شك وتشاؤم، يبدأ رويس في تحليل الشك الخلقي، فيرى أن الشك يعبر عن التشاؤم والقلق الذي يشعر به الفرد عندما يتناول غايتين أو إرادتين متعارضتين .ولا يظهر الشك بين اختيار إحداهما وتجاهل الآخر بل بسبب الرغبة في تحقيقهما معا، فهو ليس شك بسبب جهل المعرفة، لذا يكون الشك الأخلاقي في حد ذاته نتائج فعل أو نشاط يسعى الوعي من خلاله إلى تحقيق الغايات المتعارضة داخله، ويعتبرها رويس بأنها ملاحظة في غاية الأهمية تبين أنه **"بالرغم من كل الشكوك الأخلاقية فإن هناك غاية تجعل الشك ممكننا، لذا يتضح أن مذهب الشك الأخلاقي لا يخلو تماما من هدف أخلاقي، وهو الجهد لتحقيق انسجام الكامل يسبق الأهداف**

---

[87]- المصدر نفسه، ص 98.

[88]- أحمد الانصاري، فلسفة الدين عند جوزايا رويس، مرجع سابق ص177.

المتعارضة[89]، أما التشاؤم الأخلاقي فهو عبارة يأس من عدم القدرة على تكوين مثل أعلى للحياة الخلقية، فلا يكون التشاؤم رفض للمثل الأخلاقية بقدر ما هو جهد لتحقيقها جميعا، فالتشاؤم له مثل أعلى يسعى لتحقيقه وبدون هذه المثل لا وجود للمعاناة واليأس، وبذلك ينتهي رويس إلى أن الشك الأخلاقي أو التشاؤم يحملان في أعماقهما مثلا أخلاقيا، والتشاؤم كان نتيجة طبيعية للشك، والشك بدوره إدراك لغايات الإنسان المتصارعة، وقد يطرح علينا أحدهم في هذا الشك إحدى الأسئلة: **أتلك هي المثالية؟ أم أنه عبارة عن شك فلسفي في أساس الأخلاق؟**

وهنا يرد رويس **"أن القضية الأخلاقية هي القضية التي تصف فعلا ما بالإشارة إلى غاية ما، وكل قضية من هذا القبيل "تنتمي إلى نظام". وتعتبر القضية الأساسية لكل نظام أو نسق أخلاقي غاية يعتبرها الشخص الذي يؤمن بها أو ذلك النظام غاية نهائية، ومن اختياره الخاص وحده"**[90]. ومنها نجد أن رويس قد استخدم المنطق بمفهوم النظام أو النسق في تبرير الفعل الأخلاقي؛ لذلك فإن الأخلاق في نظر "رويس "لا تحتوي أفعال أخلاقية فقط، بل وقضايا غيرأخلاقية وانساق لا تنتمي للأخلاقية، حيث أن الشك نتيجة حتمية للموقف المثالي، والعالم الأخلاقي يبدو عالما تسوده الفوضى، وكل غاية يتم اختيارها لا يمكن قياسها نظريا لأن الصراع بين الغايات هو صراع عملي. ومع ذلك فإن الإنسان يعرف أن هناك انتصارا أبديا لكل كفاح، وفكرا أبديا منهيا لكل شك، وانتصار الإنسان ما هو إلا ذروة في الحقيقة المطلقة[91].

بعد أن بين "رويس" أن المذاهب المثالية التي ناقشها والتي أقام عليها مذهبه أو اشتقه منها، عبارة عن محاولات لشرح طبيعة المعرفة الإنسانية، وأنها مجموعة محاولات لصياغة الاهتمامات الروحية للإنسان وجد أن المثالية التي تفسر العالم بوجود الذات المطلق الواحد باتت ملزمة بإبراز هذا الجانب الروحي للعالم، ولكي تبرز هذا الجانب كان عليها أن تهتم بالدفاع عن نفسها من اتهامها بأنها عبارة عن

---

[89]- جوزايا رويس: الجانب الديني للفلسفة، مصدر سابق ص 111.

[90]- المصدر نفسه، ص 112.

[91] - أحمد الانصاري فلسفة الدين عند جوزايا رويس، مرجع سابق، ص 184.

نتاج الحماس الخلقي، وعن مسألة وجود الشر الخلقي في العالم يؤكد "رويس" أن مثاليته ليست نتاجا أخلاقيا حماسيا؛ وإنما نتاج تحليل منطقي، فلم يؤمن بالمثالية والذات المطلق رغبة منه في صبغ العالم بصبغة روحانية، ولقد اختار "اللوجوس" العالم اختيارا عقلانيا، واستطاع تحقيق الكمال رغم كل أوجه النقص، واستيعاب عنصر الشر داخل طبيعته العضوية، وبالتالي فالعالم أفضل العوالم الممكنة، ومع ذلك يظل التساؤل قائما حول كيفية استقامة هذا القول مع الطبيعة الشريرة الموجود المتناه، والشر المصاحب لكل موجود متناه[92].

إن كل من يؤمن بخيرية الله وينظر للنظام الخلقي نظرة زمنية لن ينأ بنفسه عن الإصابة بالتشاؤم، ولذلك يؤكد "رويس" منذ البداية بأن من لا يعترف بوجود الشر والمأسي في العالم مثلما يعترف بخيرتيه وكماله لن يحقق لنفسه الراحة والسكينة ؛ فالشر جزء من نظام خير، وليس هناك ما يسمى بالتفاؤل الديني، ولابد من الاعتراف بالتشاؤم بوصفه لحظة ضرورية من لحظات الحياة الروحية، مثلما تعترف بأن الألم والمعاناة من عناصر الحب الحقيقي[93]، إن مشكلة الفلسفة تكمن في وجود اتجاهين: اتجاه يشك في الوقائع الروحية للعالم، ويرفض الإيمان الروحي بظواهر النظام الطبيعي، والثاني يؤمن بوجود نظام روحي، وينكر وجود الشر، فالله يحكم كل شيء.

ويرى "رويس" أننا في حاجة لمركب يجمع التفاؤل ونقيضه، ولمثالية روحية لا تنكر وجود الشر، فقد ظهرت مواقف ثلاثة في المثالية تجاه مشكلة الشر؛ التفاؤل الديني الذي ينكر وجود الشر في العالم، والاستسلام الصوفي الذي يؤكد وجود الشر ولكنه يرفض أهميته لأنه وهم، والتشاؤم الذي يدفع صاحبه لهجر العالم، ويؤكد "رويس" أن هذه المواقف الفلسفية من الشر تمهد الطريق لمعرفة الحقيقة، بل ويمكن القول بأنها مركب يضم هذه المواقف الثلاثة ، والنظام المثالي هو النظام الوحيد الذي يستطيع تحقيق الوحدة بين هذه الاتجاهات المتعارضة التي يفرضها التصور الديني للعالم، وعالم الذات الواحد (أي عالم الكمال الخلقي) لابد أن

---

[92]- رويس جوزايا، روح الفلسفة الحديثة، مصدر سابق، ص54.

[93]- المصدر نفسه، ص54.

يتضمن في وحدته العضوية وجود الشر والصراع الروحي الذي لا يهدأ وإلا كان عبثا لا قيمة له ، قال "شوبنهور" أن تحقيق الرغبة يعني القضاء عليها وعلى فعل الإرادة ذاته، ومن يرغب الحياة يحتاج الشعور بالنقص، حتى تسعى الإرادة لإكماله وأقام "هيجل" كل مذهبه على "منطق العاطفة، لإدراكه بأن التناقض جوهر الحياة الروحية، فلا ننتصر إلا بعد هزيمة، ولا نشعر بالحياة إلا بعد تجاوز الآلام والتعالي فوق الصراع، فإذا كان ذلك جوهر الحياة ألا ينطبق على حياتنا الأخلاقية؟[94].

إن "الذات" تتصف بالوحدة اللازمنية، ولديها القدرة على إدراك سلسلة الحوادث الزمنية دفعة واحدة، فالذات الذي يشمل الزمن كله يستطيع أن يضم كل لحظاته الفردية في لحظة واحدة، مثلما كان "موزار" يرى كل ألحان السيمفونية دفعة واحدة ولما كان لا معنى بأي لحن مستقل أو متفرد من ألحان السيمفونية فإن الرذيلة لا معنى لها دون الفضيلة، ولا معنى لخيرية دون شر جزئي، والإرادة الشريرة قد تكون منبوذة في حد ذاتها[95]. ولكن إذا نظرلها بوصفها مكروهة وترغب التخلص منها باتت جزءا من الإرادة الخيرة، فالخير لا يعني البراءة الخالصة، والعاصي يعد جزءا من إرادة الله الخيرة، ولكنه يوجد مهزوما دائما، مثله مثل الإرادة الشريرة التي تكون مهزومة وضمن محتوى الإرادة الخيرة، وتشبه العلاقة بين رذيلة الفرد والله علاقة مخاوف القضاء على هذه التناقضات المرتبطة بالشر الخلقي، فالذات الإلهي الحق يقول للفرد أن ألمك ألمي، وحزنك حزني، والفكر المثالي الذي يقول بالإله المتألم والمعاني، الذي يمثل ذاتنا الحقة، وجسده مخضب بجراح العواطف التي سببها له الكارهون، هو الفكر نفسه الذي قد عبرت عنه المسيحية التقليدية، وعلمته للعالم وعبرت عنه بصورة رمزية، "فاللوجوس" الذي يحيا حياة مستقلة عن حياتنا لا جدوى من وجوده، ولذلك نجده يحيا بيننا، يشعر بألآمنا وهزائمنا، ويستطيع بنظرته المجاوزة للزمان أن يضم الماضي والمستقبل، ويحقق سلامه وسط

---

[94]- رويس جوزايا، روح الفلسفة الحديثة، مصدر سابق، ص55.

[95]- المصدر نفسه، ص55.

كل مصائب الزمن والامه، ويقول لنا أن السلام الذي أهبه لكم لا يستطيع العالم أن يمنحكم إياه[96].

وأخيرا تقول المثالية أنه لا وجود إلا لذات واحد في العالم، وتستمد معرفتنا بالخبرة وحدها، التي تمكننا من التمييز بين ما هو حقيقة خارجية وبين ما نقدره ويخص عقولنا، أي التمييز بين وقائع العالم من جهة، وبين وجهة نظرنا عنها من جهة أخرى، ولما كان التفكير الوصفي يقوم على الجوانب الكلية للأشياء، ويعني أن العالم يكون أساسا قابلا للوصف، فلا بد أن يكون العالم منظما وخاضعا للقوانين، ولما كان الفرد لا يستطيع تقديم وصف دقيق إلا لما هو منظم ومتصل ويخضع للقانون فإن العلم يفترض كلية وثبات قوانين الطبيعية، ويفترض أن كل الأشياء ما هي إلا جزء من النظام الآلي للطبيعة، وبالتالي ووفقا لهذه الوجهة من النظر يعد الإنسان شيئا من الأشياء ونتاجا للطبيعة، ومجرد جهاز عصبي ليس له أي إرادة حرة، ولكن بالرغم من صحة كل هذا التحليل نلاحظ أن الإنسان لا يكون أصلا قادرا على الوصف إلا لما قد سبق له أن قدره، وبالتالي يجب أن يكون له أطروأنماط كلية التقدير، ولابد أن يكون عالم المثل أسبق من عالم الآلية، وعالم التقديرأسبق من عالم الوصف، ولكي تكون الطبيعة قابلة للوصف نسبيا، لابد أن تكون لها قيمة، وتجسد غايات معينة، وبذلك يصبح النظام الطبيعي مدعوما بالمثل العليا، ويجب أن يوصف بالأخلاقية، ويجب أن يظهر عالم المطلق عالم "اللوجوس" أمامنا بوصفه عالما زمنيا وأبديا في نفس الوقت أي أن له جانبا يختص بالقانون وجانبا يختص بالقيمة، وبذلك يصبح الإنسان جزءا من الطبيعة ونظامها الإلهي، وفي نفس الوقت جزءا من النظام الأخلاقي يكون خاضعا للزمان، ولكنه حر في انتقاء أفعاله الخلقية[97]، وبالتالي يستطيع المذهب المثالي بمثل هذا التفسير النظام العالم والوضع الإنسان أن يقدم حلا لما يسمى بمشكلة الشر التي تواجه كل نظام يقول بروحانية العالم، أو بأنه عالم الذات المطلق الكامل.

---

[96]- المصدر نفسه ص56.

[97]- رويس جوزايا، روح الفلسفة الحديثة، مصدر سابق، ص56.

3-3-البصيرة الخلقية والتبصر الأخلاقي:

إذا كان عالم الوقائع لا يمد الإنسان بمذهب أخلاقي ويوجد انفصال بين هدا العالم وعالم الغايات الخلقية، والمذاهب الأخلاقية ما هي إلا رغبات متعارضة وإن ارتبطت بعالم الوقائع فإنها تفقد خاصيتها المثالية، وبالتالي فالتخلص من هده الإشكالية لا يمكن بدارسة عالم الوقائع وإنما دراسة عالم الغايات الأخلاقية ككل، **فما هي الغاية الأخلاقية العليا التي يمكن أن تظهر لمن يدرك الغايات الأخلاقية ككل؟**

يعرف "رويس" البصيرة في كتابه "مصادر البصيرة الدينية" على أنها صورة من الأهمية التي نستطيع عن طريقها تمييزها عن المعرفة فقد يعرف التاجر الطريقة التي يمارس بها عمله، ولكن لا يكون تاجرا ناجحا إلا إذا كانت لديه بصيرة بطبيعة العمل الذي يؤديه وبقواعده وبالطرق التي يستطيع تحقيق النجاح بها، فقد يعرف الإنسان أسماء أصدقائه ووجوههم، ولكن تكون لديه بصيرة بصفات المقربين منهم. وتعد البصيرة وفق هذه الأمثلة اسما لنوع معين من المعرفة ولدرجة معينة منها، وبالتالي فالبصيرة معرفة توحد بين مجموعة من الوقائع في مجال معين، وتضم مجموعة من المعارف في وحدة معينة، وتحقق إدراك معنى معين، وقد تتحقق البصيرة لدى عدد كبير من الأميين وغير المتعلمين في أي موضوع من الموضوعات التي يدرسونها[98]. ولما كانت البصيرة الخلقية هي موضوعنا، وكان عالم الوقائع لا يمد الإنسان بمذهب أخلاقي، ويوجد انفصال بين هذا العالم وعالم الغايات الخلقية والمذاهب الأخلاقية، ووجدنا بأن الرغبات المتعارضة وإن ارتبطت بعالم الوقائع، فإنها تفقد خاصيتها المثالية. وبالتالي فإن التخلص من هده الإشكالية لا يمكن بدارسة عالم الوقائع وإنما دراسة عالم الغايات الأخلاقية ككل **فما هي الغاية الأخلاقية العليا التي يمكن أن تظهر لمن يدرك الغايات الأخلاقية ككل؟**

[98]- جوزا يا رويس: مصادر البصيرة الدينية، ت، احمد الأنصاري، المشروع القومي للترجمة 2007 القاهرة ص18

يجيبنا رويس على هذا التساؤل، بأن من يدرك غاية تصبح غايته ويرغب في تحقيقها تحققا فكريا كاملا لذلك من يدرك الغايات المختلفة والمتضاربة تصبح كلها غايات في لحظة البصيرة أو الحدس فيدركها جميعا ويرغب في نجاحها كلها، ولما كانت كل غاية تعبر عن إرادة فردية فإن إرادته تصبح كل الإرادات المتضاربة وبنقل الصراع من الخارج للداخل ويشعر الفرد بمرارته ولها السبب قد يشعر بالتشاؤم في اللحظة الأولى لنظرته الجديدة ثم يتساءل في نفسه ألا توجد نهاية لهذه الصراعات؟[99].وبذلك يشعر الفرد بأن لديه غاية فإرادته ليس بدون هدف لأنه يرغب في تحقيق الانسجام بين الإرادات، وهذا الأخير الأوحد الذي يظهر في خياله قوة كل الخيارات الفردية والغايات المتصارعة، وبذلك يكون العالم المثالي هو العالم الذي يتحقق فيه الخير الأعلى، حيث يتوقف الصراع، وتنسجم كل الغايات الأخلاقية المتضاربة، ويؤكد "رويس" هنا على ضرورة تأسيس هذه البصيرة على القاعدة الأخلاقية **"افعل كما لو كنت ترغب أن تحقق كل الغايات التي تتأثر بفعلك"** بصيغة أخرى **"افعل دائما في ضوء نظرة شاملة وتبصر كامل، لكل الغايات التي يؤثر فيها فعلك"**، ويرى"رويس"انه هذه القاعدة الأخلاقية ليست عاطفية أو ذاتية بل قاعدة كلية طالما أن اختيارها يعتمد على التحقيق العام لكل الغايات المتضاربة في عالم الحياة وبذلك يظهر **"مذهب أخلاقي"** في قلب الشك ذاته وتنكشف **"إرادة كلية"** وسط الإرادات الفردية المتصارعة[100].

ويري رويس أن من الأمور الضرورية، بل وضرورة عقلية أن يدرك الإنسان أي نسق أخلاقي قد يعرض عليه، بأن يولد في ذاته، أو ينتج في عقله صورة طبق الأصل للإرادات التي وضعت هذا النسق الأخلاقي، ومن هنا يستطيع تقبل الغاية الجديدة، لذلك يرى"رويس"**أن الشك الأخلاقي المطلق لا يكون خاليا تماما من السعي إلى غاية أخلاقية أو وجود هدف أخلاقي"**[101].

---

[99]- احمد الانصاري: فلسفة الدين عند جوزايا رويس مرجع سابق ص178

[100]- المرجع نفسه، ص 179.

[101]- جوزايا رويس: الجانب الديني للفلسفة، مصدر سابق ص 119.

إن اكتساب البصيرة يؤكد احترام كل فرد لإرادة الآخر فلا تكون البصير مجرد شعور بالشفقة أو العطف على الجار مثلا وإنما تعتمد على إدراك إرادته المتعارضة وتأمر السلوك طبقا للإرادتين وإنما لا تقول "**حب لجارك ما تحب لنفسك** "وإنما "**أسلك كما لو كنت أنت وجارك كائنا واحدا**"[102] ولا تقتصر قيمة المثل الأعلى في انه يقدم للبصيرة حدثها اللحظي فقط بل باعتبار أن كل غايات الإرادات المتصارعة في العالم قد اتسقت وتوافقت فيه مع هده البصيرة ولذلك يقدم المثال للبصير قاعدة ثانية للسلوك تقول للفرد:" **افعل بطريقة لكسب الآخرين الحد الخلقي**" [103]، ومن الواضح أن البصيرة تعارض المذاهب الدغمائية القائمة لغاية واحدة منفصلة، وتظهر من الوعي أن غاية واحدة ليست غاية حقيقية ويمثل الشك أولى مراحلها، فالشك هو الطريق الأمثل للوصول إلى المبدأ الخلقي ومعرفة طبيعة الإرادة الكلية، كذلك فالجار ما هو إلا مجموعة من الرغبات والأفكار لها وجود واقعي مثلما تكون "الأنا" المستقبلية واقعية وحقيقية.

ويعتقد "رويس" ان هناك نظرة خاطئة للأخلاق لا تخص فلاسفة الاخلاق المحدثين فقط، بل كل المبشرون الاخلاقيون منذ سقراط، لأنهم كانوا يصرون على أن الانسان دائما يجهل ما يريد، وما يرغب، وهي نظرة خاطئة بالنسبة لرويس، فقد يريد الانسان شيئا، ويعرفه جيدا ولا يوجد حد معروف للرغبة وللإرادة، إذ أنه من الممكن لأي فرد منا أن يحصل على البصيرة الخلقية، ويحتفظ بها في نفس الوقت، ويلخص رويس موقفه من البصيرة الدينية فيما يلي:

-إن البصيرة الخلقية أينما وكيفما تأتي، تتمثل في إدراك الطبيعة الباطنية الحقة لإرادات متعارضة معينة كائنة في هذا العالم بالفعل.

_ إن البصيرة الاخلاقية المطلقة التي نستطيع أن ندركها، ولا نستطيع الحصول عليها كاملة، سوف تدرك الطبيعة الداخلية الحقة لكل الارادات المتصارعة في العالم وتتضمن البصيرة الخلقية بطبيعتها، عند الذين يحصلون عليها، الرغبة

---

[102]- احمد الانصاري: فلسفة الدين عند جوزايا رويس مرجع سابق ص180.

[103]- المرجع نفسه، ص 179.

في تحقيق الانسجام بقدر الامكان، بين الارادات المتصارعة، والتي يتم إدراكها في لحظة البصيرة.

- إذا كانت البصيرة تهتم بإرادتين متعارضتين، مثل ارادتي وارادة جاري، فإن هذه البصيرة تتضمن الرغبة في الفعل، كما لو كنت أنا وجاري كائنا واحدا يحوي رغبتنا نحن الاثنين.

- تعارض البصيرة الخلقية كل صور الدغمائية الاخلاقية، التي تقول بغاية أخلاقية واحدة فقط، حيث يقول رويس: **لك أن تظل على ضلالك فليست لدينا الوسائل التي تخلصك منه، لكن إن رغبت معرفة كل الحقيقة الخلقية، فلن تجدها الا في البصيرة الخلقية، وكل ما عداها ما هو إلا رغبتك الخاصة"[104].**

فالبصيرة هي نوع من المعرفة التي تجمع بين إثراء المعارف والتجارب في وحدة متماسكة، فالبصيرة رؤية لحقائق كثيرة في وحدة واحدة ووقت واحد، لتصيف للشخص لمسة جديدة وتحقق له هدفا معيننا[105]. فاهتمت البصيرة الخلقية بالتوفيق بين جميع ارادات الانسان، وتحقيقها في إرادة واحدة.

---

[104]- رويس جوزايا، الجانب الديني للفلسفة، مصدر سابق، ص140،139.

[105] -John smith and William klueck, Josiah Royce, selected writing, paulist press, new York, 1988, p31.

4 –أخلاقيات الولاء

4-1-الولاء كقيمة اخلاقية وميتافيزيقية:

4-1-1-طبيعة الولاء:

من الضروري دراسة أسس الحياة الأخلاقية وقوانينها وربطها بالجانب العلمي للحياة الإنسانية، لذا فإن دراسة الأخلاق تعد ضرورية لتنوير العقول وتأكيد الأفعال، ولما كان النقد عمل الفلسفة فان فلسفة الولاء هي القادرة على الوصول إلى روح هده الأخلاق التقليدية بدون هدمها أو القضاء عليها، وتشير هذه الفلسفة إلى اعتبار الولاء مبدأ أخلاقي طالما أن كلمة فلسفة تشير إلى المبادئ الأولى وإلى دراسة نقدية للولاء، والى الاعتماد على العقل لوضع تعريف لها وتحديد القضايا المناسبة له، والى الغوص في أعماق السلوك الإنساني إلى منبع القيم والمعايير الأخلاقية.

وتبدو لفظة الولاء من الوهلة الأولى من الألفاظ المثيرة للجدل، والتي تثير في الذهن معاني فلسفية وأخلاقية عديدة، وقديما ارتبط مفهوم الولاء بالسلطة والحرب خاصة في النظام العسكري أو الأرض أو القبيلة أو العشيرة؛ حتى بات الولاء من إحدى القيم الأخلاقية التي يطالب الفرد بالتمسك بها، ورغم ذلك ظل مفهوم الولاء يشكل مشكلات كبيرة، منها ما يتعلق بطبيعته ومدى الحاجة إليه، والقضايا التي يتم الولاء لها، ومنها ما يتعلق بما يسمى بتعارض الولاءات والصراع بينها، ومع تقدم المجتمعات وتطورها اكتسب مفهوم الولاء أهمية كبرى لعلاقته بتماسك المجتمعات وتطورها، وظهرت أهمية مراجعة القيم الخلقية لمواكبة هذا النمو والتطور، فبدا بدراسة أسس الحياة الخلقية وطبيعة القانون الخلقي، خاصة أن إنسان العصر الحاضر يعاني الحيرة والارتباك اتجاه المثل العليا والواجبات الرئيسية، وانتشر الشك في الإحكام الأخلاقية، وزادت المطالبة بتغيير القيم تغييرا جذريا[106].ولما كانت الفلسفة تدرس المبادئ والأسس وجوهرها نقد الحياة، جاءت

[106]- جوزايا رويس فلسفة الولاء ترجمة أحمد الأنصاري المجلس الأعلى للثقافة القاهرة ط1 2002 ص7.

فلسفة الولاء تنظر للولاء بوصفه مبدأ أخلاقيا ويدرس المشكلات المتعلقة به دراسة نقدية، تحدد معنى الولاء وطبيعته، وأنواع القضايا المستحقة للولاء وصفاتها، ومنه تأسيس عالم أخلاقي على مفهوم عقلي للولاء، بحيث يقوم بتوضيح مشكلات العصر الأخلاقية، وينهي الصراع بين الولاءات المختلفة.

أما تحديد قيمة الولاء فإنها مسألة تتطلب تحديد القضايا التي تستحق الإخلاص لها وتبرير سبب هذا الإخلاص، أما إذا تم النظر للولاء بصفة عامة وبصرف النظر عن صلاحية وفساد القضية، فإن المخلص يتصف بالنشاط والحيوية فالفرد يتعلم واجباته ومثله العليا والقانون الأخلاقي من سلطة خارجية، لذلك كان ولاء الفرد يتوزع على اكثر من اتجاه فقد يكون ولاؤه للامة أو للأسرة او للمجتمع او للمؤسسات الديمقراطية او القوانين[107].

لكن إذا تساءل: **عن السبب لما يكون وواجبه هو واجبه؟** فإنه لا يستقبل إجابة! لأن واجبه يكون عبارة عن إرادته الذاتية وقد وضعت في الشعور، لذلك يكون الفرد في موقف أخلاقي متناسق إذا أراد معرفة واجبه، فلا بد من استشارت إرادته العاقلة وهذا من خلال التدريب الاجتماعي وتكوين الوحدة بين عالم الذات وعالم المجتمع، أي بين السلوك الفطري والمكتسب، ومثل هدا النوع من الوحدة هو مما يسمى بالولاء، مثل الدفاع عن الوطن حيث يحل الصراع بين الإرادة الذاتية والجماعية، ويحول الشرف إلى إذعان، والثورة إلى طاعة، وسيصبح الولاء للقضية نوع من الذاتية، وبالتالي يؤكد الفرد أنه لن يفقد إرادته الذاتية وإنما عبر عنها في العمل من أجل هذه القضية، وهذا أيضا يكشف لنا عن بعد قيمي آخر وهو ميتافيزيقا الولاء[108] .

4-1-2-المفهوم الرويسي للولاء:

يعترف رويس أنه استلهم مصطلح فلسفة الولاء أثناء قراءته لعمل أحد الباحثين في علم الأجناس وهو **"رودولف شاتين متز"**بجامعة **"هاجو"**والمعنون باسم

---

[107] - Ritchard Rorty, justice as a larger loyalty in Richard Rorty: critical dialogue, p 20.

[108]- احمد الأنصاري: فلسفة الدين عند جوزا يا رويس، مرجع سابق، ص285.

"فلسفة الحرب"، حيث كانت فكرتا الحرب والولاء لهما علاقة وثيقة، وكان "شاتين متز"من أصحاب النظرة التقليدية للولاء، ويؤكد أنه لولا الولاء الشديد لاختفت الحروب، وأن الحرب توفر فرصة هامة ونادرة لتجديد الولاء؛ فإذا ما خفت الحروب فقدت المدينة إحدى قيمها، وهنا يتفق "رويس"و"شاتين ميز" في أهمية الولاء بوصفه مبدأ رئيسي للحياة الخلقية[109]. من هنا كان مبدأ الولاء عند رويس متفوقا عن على العدالة نفسها، لان الولاء تجسيد أخلاقي للمجتمع، من خلاله يمكن توجيه الافراد عبر الزمان والمكان من خلال توحيدهم على الفعل الخير الذي يفيد المجتمع البشري[110].

فَيَرَى رويس **"إن ولاء الفرد لقضيته يحدد له سلوكه الواجب تحقيقه في حياته الاجتماعية، ولا تبقى مجرد شعار صوري زائف، ومن لا قضية له لا وجود له، ولا غاية يسعى إليها أو جماعة ينظم لها**[111]، وقبل أن نبدأ في صلب التحليل الرويسي للولاء، نضع تعريفا أولياً للولاء كما قدمه رويس نفسه بقوله **"إن الولاء هو التفاني الإرادي العملي المستمر من قِبل فرد ما تجاه قضية معينة، يعرف منها ما ينبغي أن يكون وما ينبغي أن يقوم به من الأفعال، والولاء ضروري لأنه يقضي على حالة التردد والحيرة الأخلاقية، ويحقق به الفرد الخير لنفسه؛ فالفرد لا يستمد خيره من الخارج ولا يعرف واجبه منه، ودائما ما يلجأ إلى الداخل، لاستشارة إرادته العاقلة"**[112]، فيتصف الفرد بالولاء أولا إذا كانت لديه القضية التي يتجه بولائه لها، وثانيا عندما يهب نفسه لخدمتها طواعية، وثالثا عندما يعبر عن هذا الإخلاص والتفاني للقضية بطريقة عملية مقبولة وبخدمة القضية بصورة فعالة ودائمة. ويقدم لنا "رويس"أمثلة عديدة للولاء؛ **مثل إخلاص المواطن لوطنه، واستعداده للتضحية بحياته من اجله أو مثل إخلاص المؤمن لدينه، وتفاني قائد**

---

[109]- جوزايا رويس فلسفة الولاء ت: احمد الأنصاري مصدر سابق، ص37.

[110] -Aaron Lawrence Britter, On the concept of sin in theology of liberation and Josiah Royce the problem, the University of Oregon, 2012, p 64 .

[111]- حسن حنفي، التراث والتجديد، دار المعارف الجامعية، الإسكندرية، د ت ط، ص364

[112]- جوزا يا رويس فلسفة الولاء ت: احمد الأنصاري مصدر سابق. ص30.

السفينة في تأدية وظيفته، ويكون مستعدا للغرق معها إذ اقتضت الضرورة[113]. فلا تستمد القضية المراد الولاء لها من قدرتها على جلب السعادة الوقتية أو ما تنتجه من محبة الفرد لها، بل تستمد من كيان مستقل عنها في الخارج، فالولاء يعيش بين الذات والنظام الملموس.[114] وبالتالي يكون إخلاص الفرد نابعا من ذاته فيختار ولائه ويتمسك به في جميع الأحوال ولا بد من ترجمة إخلاصه ترجمة عملية، وعندما يقوم بعمل لا بد أن يكون في خدمة قضيته.

ويؤكد "رويس" أن الولاء لم يكن أبدا مجرد عاطفة، كما تتضمن خدمة الولاء نوعا من الاستسلام وخضوع رغبات الفرد الطبيعية للقضية، بدون وجود نوع من التحكم الذاتي، وعندما يخدم الفرد قضيته لا يتبع رغباته فقط، وإنما يتخذ من قضيته مرشدا له، إذ ترشده قضيته لما ينبغي القيام به وعليه هنا أن ينفذ الفعل، وفي النهاية لابد أن يكون الإخلاص كاملا وهو ما يؤكد رويس عندما يصرح بأن الفرد "**يكون مستعدا لان يحيا أو يموت، وهذا تبعا لتوجهات القضية ومتطلباتها**"[115]، لكن رويس تراجع عن مفهوم الولاء الأول واستبدله بمفهوم ثاني حيث يقول" **والآن، وفي ضوء هذه الفلسفة، أقترح تعريفا جديدا للولاء وأستطيع القول بأنه قد نتج من دراستنا السابقة كلها: إن الولاء هو الإرادة، أو الرغبة في إظهار الأبدي قدر الإمكان، أي الوحدة الواعية الشاملة والمطلقة للحياة، في صورة أفعال، يقوم بها إنسان، أو ذات فردية**"[116]. لذلك يرى رويس أن الفرد يجب ان يكوم المعلم الذي يقدم التوجيه والإرشاد لتهيئة الفرد للوصول الى الولاء

---

[113]- المصدر نفسه، ص30.

[114] David W. Roddick, Gabriel Marcel and American philosophy, Lanham Boulder, New York, 1966, p 20.

[115]- جهاد زيدان، محاضرات في أخلاقيات الولاء، مجلة الاستغراب، المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية، بيروت، العدد الرابع، 2016، ص264.

[116] - جهاد زيدان، محاضرات في أخلاقيات الولاء، مجلة الاستغراب، المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية، بيروت، العدد الرابع، 2016، ص265.

الحقيقي، حيث يمكنه التمييز بين الذات وقضيتها، لكي يكون مسيطرا على شخصيته وبإمكانه النظر الى الخارج والتعلم منه[117].

ويعرف رويس "الولاء" في كتابه "مشكلة المسيحية" بأنه **"تكريس الذات الارادي والمحكم لعلة عندما تكون العلة شيئا يوحد ذواتا كثيرة في ذات واحدة، وتكون بالتالي مصلحة الجماعة"[118]**. ويرى في كنيسة جماعة المخلصين بصفة خاصة-كما هي متمثلة في رسائل "القديس بولس" -تجسيد روح الولاء والاخلاص لمثل أعلى مشترك، والولاء لجماعة مثالية يجب أن تحب بوصفها شخصا، ومع ذلك لا يستطيع رويس أن يوحد بين ما يسميه "بالجماعة العظيمة " بكنيسة تاريخية أو بدول تاريخية، وعلى الرغم من أنه يجب البحث عن جماعة مثالية بدلا من جماعة تاريخية فعلية وموجودة، وتكمن في اساس النظام الاخلاقي لأنها هي في حد ذاتها هدف أو غاية الفعل الاخلاقي، صحيح أن الفرد هو الذي يستطيع وحده أن يوجد رسالته الاخلاقية، لكن بسبب الطبيعة الخالصة للذات فإن **الفردية الحقيقية لا يمكن أن تحقق الا عن طريق الولاء للجماعة العظيمة، أي لعلة مثالية توحد كل الناس معا[119].**

إن الموضوع الاسمي للولاء من حيث أنه مقولة أخلاقية هو كما يعتقد "رويس" هذه الجماعة المثالية للتفسير، غير أنه في أواخر حياته شدد على أهمية جماعات محدودة للتطور الأخلاقي ولتحقيق الاصلاح الاجتماعي، فإذا نظرنا الى فردين يتنازعان على حيازة ملكية ما مثلا، فإننا نستطيع أن نرى أن هذا الموقف الخطير يتغير عن طريق شريك ثالث وهو القاضي، وتنشأ علاقة ثلاثية محل العلاقة الثنائية الخطيرة، وتتكون جماعة صغيرة المدى والتفسير، وهكذا يحاول رويس أن يبين الوظائف المتوسطة أو المفسرة والتربوية من الناحية الاخلاقية لهذه المؤسسات مثل النظام القضائي.، ويطبق "رويس" هذه الفكرة حتى على مؤسسة التأمين، حيث

---

[117] Josiah Royce, Race Questions, Provincialism, and Other American Problems, the MacMillan Company, New York 1916, p238.

[118]- the problem of christainity.1 p 68.

[119]- فردريك كوبلستون، المرجع السابق، ص 404.

طور "رويس" خطة للتامين بوصفها أمانا ضد الحرب على المستوى العالمي[120]، في كتاب كبير عنونه بالحرب والتامين.

وقد يرى بعض نقاده في هذه الافكار دمجا أمريكيا خاصا للمذهب المثالي بإجراء عملي دنيوي، وادخال هذه الافكار الجوهرية في النظرية الاخلاقية يكون مطلوبا أكثر من حث الناس أن يكونوا موالين للمجموعة المثالية للتفسير التي اقترحها.

4-1-3-القيمة الأخلاقية للولاء:

يعتبر"رويس"أن الولاء محور الفضائل كلها، وروح الأخلاق العاقلة فإذا تم قيام وحدة صحيحة بين الأخلاق ونظرية فلسفية عن العالم الواقعي، تحققت وحدة الدين بالحياة العملية[121]. ويرى رويس أن إحدى سمات العصر الحديث تتمثل في إعادة بحث ومراجعة المعتقدات القديمة، وانتشر هذا الاتجاه الناقد ليشمل مجال العلم والدين والأخلاق، إلا أن التشكيك في أساس الأخلاق أمر صعب قبوله لأنه يشمل العالم المرئي واللامرئي، ويشكك في الجهود المبذولة لتطوير العلم ولتحيق المحبة التي تنادي بها الأديان، من هنا يتساءل رويس "**ما قيمة العلم والدين إذا كانت الحياة الإنسانية نفسها ليست لها معايير أخلاقية ثابتة يستطيع أن يقيس بها الفرد قيمته**"؟[122]

يرى رويس أنه من الضروري دراسة أسس الحياة الأخلاقية وقوانينها وربطها بالجانب العلمي للحياة الإنسانية، لذا فإن دراسة الأخلاق تعد ضرورية لتنوير العقول وتأكيد الأفعال، ولما كان النقد عمل الفلسفة فإن فلسفة الولاء هي القادرة على الوصول إلى روح هذه الأخلاق التقليدية بدون هدمها أو القضاء عليها، وتشير هذه الفلسفة إلى اعتبار الولاء مبدأ أخلاقي طالما أن كلمة فلسفة تشير إلى المبادئ الأولى وإلى دراسة نقدية للولاء وإلى الاعتماد على العقل لوضع تعريف لها، وتحديد

---

[120]- المرجع نفسه، ص 405.

[121]- فردريك كوبلستون، المرجع السابق، ص 40.

[122]- احمد الأنصاري: فلسفة الدين عند جوزا يا رويس مرجع سابق ص 284.

القضايا المناسبة له وإلى الغوص من أعماق السلوك الإنساني إلى منبع القيم والمعايير الأخلاقية[123].

ومن هذا كله نستنتج أن القانون الخلقي في فلسفة الولاء جاء كما يلي: **"يجب عليك الولاء، ولكي تحقق ذلك عليك باختيار قضية معينة، أو نسق من القضايا، لتجعل منه موضوعا خاصا لولائك، ويحدد مهمتك في الحياة، ابدأ باختيار قضيتك الخاصة بطريقة حاسمة، ثم عليك أن تظل محافظا عليها ومخلصا لها، وبقدر ما يسمح المبدأ العام للولاء استمر في خدمتها، حتى يتم العمل الذي تستطيع القيام به"**[124].أما المبدأ العام للولاء الذي تخضع له كل الاختيارات الخاصة للقضايا، فانه يقول لنا: "**عليك أن تكون على ولاء للولاء، أي عليك أن تبذل أقصى طاقاتك لتقديم الخدمة المخلصة للقضايا، وتحقيق أقصى درجات التفاني في خدمتها ومشاركة كل النفوس التي تحيى حياة الولاء"**[125].ويحاول رويس الرد على من يعتبرون أن الولاء والانجرار وراء الحروب يعتبرنوعا من الضلال والضياع، فيرى أنه يكمن هذا النوع من الانحراف بالولاء إلى تهدم القيم الأخلاقية السائدة التي تجعل من الحروب بحد ذاتها هدفا دون أن تكون من أجل الدفاع عن سيادة القيم الخلقية، و في الأخير ينتقد رويس عدم تأسيس الولاء على أساس الدين في الولايات المتحدة الامريكية، كما هو الحال عند اليابانيين –مثلا-الذين يرون وطنهم جزءا من الدين[126].

4-2-ميتافيزيقا الولاء:

يحاول "رويس"أن يفسر كل ما هو خلقي وقيمي في ضوء فلسفة الولاء، وكأن الولاء يقدم حلا لكل الإشكاليات الفلسفية، فإذا كانت حياة الولاء الأخلاقية أفضل حياة للإنسان، فأي حقيقة تكمن ورائها، وما علاقتها بالعالم الخارجي، وإن كانت

---

[123]- جوزايا رويس فلسفة الولاء ت: احمد الأنصاري مصدر سابق، ص36.

[124]- المصدر نفسه، ص 122.

[125]- جوزايا رويس فلسفة الولاء ت: احمد الأنصاري مصدر سابق، ص 123.

[126]- **هاني المغلس**، الطاعة السياسية في الفكر الإسلامي: النص والاجتهاد والممارسة، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، هرندن فرجينيا، ط1، 2014، ص45.

حياة الولاء تستند على اعتقاد الفرد في واقعية القضية وخيرتها فهل لهذه القضايا وجود حقيقي؟ من هنا يقدم لنا رويس عدة تفسيرات تعبر عن تفسير لميتافيزيقا الولاء وهي كالتالي:

4-2-1-وحدة الحياة الروحية:

لكي يكون للولاء أساس حقيقي لابد له من واقعية للحياة الروحية، وأن كل تعريف للحقيقة يفترض وجودها مسبقا، عندها تتحول النظرية الأخلاقية إلى مذهب فلسفي عام، ولم يصبح الولاء مجرد مرشد في الحياة، وإنما الكشف عن عالم له حياة روحية أبدية واحدة تحوي كل الحوادث الزمنية، وتتحقق فيه كل الأهداف العاقلة، ويشكل مجموع كل ما تصبو إليه البشرية. ويؤكد "رويس"**أن وجود أساس حقيقي للولاء، يفترض وجود وحدة روحية، تتعالى فوق مستوى أي خبرة فردية مستقلة**"[127].فإذا كان الولاء خدمة لقضايا فوق إنسانية، فإن الخير الحقيقي لها لن يظهر لأي مجموعة من الأفراد، وإنما يتم التعبير عن هذه الخيرية بوعي أرقى من مستوى الوعي الفردي، ولكنها لا تظهر وحدتها كاملة لأي منهم، لأنها تكون في مستوى أعلى من مستوى أي فرد معين، فإذا تم التسليم بهذا الافتراض، فإن الولاء لا يكون مجرد خرافة، ويصبح خير القضايا واقعا في مستوى أعلى من المستوى الإنساني، ولئن كان المخلصون كما يرى "رويس"مؤمنون بأن الإرادة الجمعية موجودة وبأن الحياة الإنسانية وحدة واقعية حقيقة، إلا أنه يجب إدراك وفهم هذه الحقيقة أي فهم وحدة الحياة الإنسانية، ولن يتم ذلك في نظر رويس **"إلا إذا كانت فلسفة الولاء جزءا من فلسفة ترى العالم كله عبارة عن وحدة واحدة من الوعي وأنه يتكون من وحدات أقل منها"[128].**

وإذا كان الولاء صحيحا فالقضايا الاجتماعية والمنظمات الاجتماعية والصدقات والأسر والدول والإنسانية كلها، يكون لها وحدة من الوعي، بحيث يشارك فيها كل فرد، ولابد أن تكون كائنة في مستوى أعلى من مستوى الفرد الإنساني

---

[127]- احمد الانصاري: فلسفة الدين عند جوزايا رويس، مرجع سابق، ص 292.

[128]- احمد الانصاري: فلسفة الدين عند جوزايا رويس، مرجع سابق، ص 293.

العادي. ويؤكد لنا رويس من جديد أنه علينا تبني هذه الفكرة، فإذا نظرنا للولاء في النهاية على أنه وهم مقنع، فأن الولاء له جانبه الميتافيزيقي، لأنه محاولة لإدراك حياتنا الإنسانية، ومن وجهة نظر أخرى هو مجاوزة لحياتنا، نرى من خلالها منظماتنا الاجتماعية عبارة عن وحدات شخصية وفعلية للوعي، وحدات يوجد بها خبرة فعلية بالخيرية، التي يمكن أن نشارك فيها لحظات الولاء التي نحياها. فإذ كان لولاء المحبين وجود حقيقي في الواقع فإن وجودهم بوصفهم أفرادا مستقلين لا يشكل كل الحقيقة.[129]

4-2-2-الحقيقة والولاء:

إن الإيمان الراسخ لدى أصحاب الولاء أي إيمانهم بقضاياهم، وبوجود خير حقيقي في هذه القضايا هو إيمان حقيقي، وأن كل من يتناول أي نوع من أنواع الحقيقة سواء كانت حقيقة أخلاقية أو علمية، حقيقة من مسائل الفهم العام أو كانت حقيقة فلسفية، فإنه حتمت حتما أحكامه بالحقيقة وما يقوله عنها، إن عالم الحقيقة الذي يتحدث عنه له أبعاد عقلية وروحية، عالم من الوعي بالخبرة، يكون نمط وعيه أعلى في المستوى من نمط وعي عقولنا الإنسانية. ومن هنا توحد حياتنا على مستوى الوجود الروحي أكبر من توحيدها لوجودنا الإنساني، لذلك يعد من أصحاب الولاء، فإذا كان البحث عن الحقيقة نشاطا أخلاقيا فمن جهة أخرى لا يمكن أن تكتمل الأخلاق إلا إذا سطعت الحقيقة وكستها بنورها[130].

ولما كان البحث عن الحقيقة يرتبط بالإخلاص فإن الباحثون عن الحقيقة مخلصون، لذ يعد الفشل لديهم نوعا من النجاح لأنه عبارة عن مسعى، يسلكه الفرد في مجمل حياته أو نسقه الفلسفي العالمي وهذا لكي يحدد مكانه ووحدة الحياة الواعية فيه، ومن هنا فإن أي بحث عن الحقيقة ما هو إلا تأكيد على وجود وعي شامل يحوي العالم الواقعي، وهكذا يرى"رويس"**أن وجود هذه النظرية للحقيقة والتي ظهرت نتيجة استنتاج منطقي محكم، ووضحت علاقة كل فرد**

---

[129]- جوزايا رويس، فلسفة الولاء، مصدر سابق . ص 169.

[130]- المصدر نفسه، ص 171.

بالحقيقة سواء عرف الواقع أو فشل في معرفته، وسواء أخطا أم أصاب في أحكامه"[131]. وبالتالي فإن الحقيقة تقدم إجابات كافية لتساؤلات المخلصين، وصدق قضية قضاياهم أو كما يسميها "رويس" ب**الولاء للولاء**، ويؤكد أيضا على أن كل حياة أخلاقية تكون في وحدة مع حياة فوق إنسانية، ومن الواضح أن"رويس" قد وضع تعريفين للولاء الأول أخلاقي والثاني ديني مكملا للأول وكان "رويس" قد قصد المزج بين الأخلاق والدين أو تأكيد الصلة بينهما، فإذا كان الولاء يعني الرغبة في إظهار الحقيقة الأبدية في الأفعال، فإن ما يكون جديرا بولاء الإنسان ينبغي أن يتحدد من وجهة نظر كلية وإن كان الولاء يعني الإخلاص الإرادي من قبل فرد ما لقضية ما، فإن القضية المثلى في تلك الحالة والتي يتحقق فيها كلى التعريفين تكون قضية دينية، وبذلك تصبح فلسفة الولاء ما هي إلا فلسفة دينية[132].

4-3-البعد القيمي للولاء:

يرى رويس أن الحكم على ولاء ما من والولاءات كولاء رفيقي مثلا يختلف باختلاف الواجبات الإنسانية، لأنها ليست واجبات عامة فقط بل فردية أيضا، فطالما كنت واثقا من ولائك ولم تخن هذه الثقة فإنني لا أستطيع الحكم مطلقا بعدم ولاءك، ولاء عقلي متنور أم لا، ناجح أم غير ناجح، يتصارع مع ولاء الآخرين أم يهذبهم، ولكن الشيء الوحيد الذي أعرفه معرفة مؤكدة، هو أن أي إنسان لم يخترلنفسه قضية يخدمها فإنه لم يصل بعد إلى العقلانية، أو إلى ذاته العاقلة ولا يمكن وصفه بأنه كائن أخلاقي[133].

من هنا يقرر "رويس"أن الولاء بوصفه مذهبا أخلاقيا، ما هو إلا مركب بين الولاء والفردية، فعندما نحاول التطبيق العملي لهذه المبادئ في الحياة الأمريكية، وإذا ما صح التعريف السابق للولاء، من هنا نستطيع أن نحدد مدى حاجتنا للديمقراطية، والوسائل التي نستطيع بها إشباع حاجياتنا الأخلاقية، ولا تمس في نفس الوقت حرية الأفراد في المجتمع الأمريكي. حيث يرى"رويس"أن هناك مهمة

---

[131]- احمد الأنصاري: فلسفة الدين عند جوزا يا رويس، مرجع سابق، ص 297.

[132]- المرجع السابق، ص 298.

[133]- جوزايا رويس، فلسفة الولاء، مصدر سابق، ص 129.

صعبة تقع على عاتق الشعب الأمريكي، والمتعلقة بتعليم ملايين الأجانب الوافدون على المجتمع، معنى الولاء وكيفية الانتباه إلى قيمته، وكيف يمكن الحفاظ على ولائنا كاملا، فليست الإشكالية في تعليم هؤلاء واجبات المواطنة، أو إثارة الشعور بالوطنية والمحافظة عليها، إنما الإشكالية تكمن في المحافظة على مانعت بره الآن المبدأ الرئيسي للحياة الخلقية، وفي تركيبة سكانية تتبدل دائما بسب الوافدين الجدد، وكذا التغيرات الاجتماعية المستمرة والغير مستقرة[134].أما بالنسبة للنزعة الفردية الحديثة عموما فانك تستطيع أن تدرك أن مشكلة الهجرة الأمريكية ليست إلا جانبا واحدا من جوانب الحاجة إلى التنوير الخلقي وهي حاجة باتت مميزة في عصرنا، وهنا نستطيع القول مع كلمات "لنكولن"• العظيمة **"إن كل الأمم وبالأخص الأمريكية يجب أن تعمل على ألا يختفي الولاء من العالم ولاء الشعب للشعب ومن الشعب ولأجل الشعب"**[135].

ويرى "رويس" **أن هدم الولاء يعد انتحارا أخلاقيا"**[136]، فيستطيع الإنسان البسيط تشكيل حياته الحقة بقدر ما يعمر في الحياة. ولكنه أحيانا ما يقضي حياته كلها كما لو كان مجرد حالة نفسية أو لحظة تعبيرية عن شخصية أخلاقية بسبب فشله في رؤية ولاءه الذي كان قد اختاره، وشكل لب شخصيته الأخلاقية، وهنا يطرح رويس سؤالا رئيسيا: **هل يمكن أن يتعلم الشعب الأمريكي هذا الدرس المستفاد من الروابط الأسرية، وهل يدرك أن الولاء لا يعني عبودية فرد لأخر، وإنما يعني تسامي الأفراد لمنزلة الشخصية الحقة بسبب القبول الحر والإرادي لقضاياهم، وبسبب تكريس حياتهم لخدمة هذه الروابط الشخصية المشتركة؟،**

---

[134]- جوزايا رويس، فلسفة الولاء، مصدر سابق، ص 126.

• ابراهام لنكولن من 12 فبراير1809 م 15 - أبريل1865 م) كان الرئيس السادس عشر للولايات المتحدة الأمريكية بالفترة من1861 م إلى1865 م. بالرغم من قصر الفترة الرئاسية للرئيس لينكون إلا أنه استطاع قيادة الولايات المتحدة الأمريكية بنجاح بإعادة الولايات التي انفصلت عن الاتحاد بقوة السلاح، والقضاء على الحرب الأهلية الأمريكية. وأهم أعماله إنه قدر ان يقود امريكا بنجاح خلال أعظم أزماتها الداخلية، الحرب الأهليه، وحافظ على الاتحاد، واستطاع انهاء العبوديه فى امريكا. وانتخب رئيس سنة 1860 .

[135]- جوزايا رويس، فلسفة الولاء، مصدر سابق، ص 127.

[136]- المصدر نفسه، ص 133.

وهنا يجيب رويس قائلا أنه ولئن ظلت مسألة التعامل مع عدم الولاء، مسألة عملية خطيرة إلا أننا لن نفلح في التعامل معها، إذا تصورنا أن العلاج يكمن في الانتقام، أو بفعل ما تكون فيه الخيانة للولاء، وبالتالي وجب علينا أن نعلم شعوبنا وندربها على مبدأ الولاء للولاء[137].

فالولاءات المحدودة والصور اللاعقلانية للفردية، والسخرية من أصحاب الولاء أمور يرى رويس أننا نلاحظها في حياتنا الأمريكية. والولاءات الخاصة عندما تبلغ أقصى مدى وأكثر تطورا وانتشارا بين الناس، فهي حينئذ تأخذ صورة الولاء للعداء المتبادل بين المنظمات والجماعات والفئات والطبقات الاجتماعية على حساب الولاء للمجتمع ككل أو لكل أفراد الأمة. إن الولاء حق لكل إنسان والملوك والعمال ولاءهم واحد، وعندما ندرك هذه الحقيقة لن يصبح الولاء سببا للصراعات والعداءات، أو تصريحا بخيانة الدولة من منطق الإخلاص لقادة فاسدين ولدعاة الفتنة ومثيري الشغب[138].

أما بالنسبة لأمريكا فيرى رويس أن تاريخ شعور وعاطفة الأمريكيين اتجاه حكومتهم الوطنية، يختلف عن تاريخ الشعور الوطني في البلدان الأخرى، فأمريكا مثلا لم يحكمها ملك على الإطلاق بوصفه رمزا للكبرياء والوحدة الوطنية هذا من جهة، ومن جهة أخرى لم تدخل أمريكا حروبا ضد طبقة مميزة، وقد أدى التعارض بين الولاء للأمة والولاء للمدينة إلى نشوب الحرب الأهلية، وظهور ما يسمى بسلطة الأمة، وتم الاعتراف بسلطة الحكومة الوطنية بوصفها السلطة القانونية والقوة المادية، وبات لرئيس الولايات المتحدة الأمريكية قوة تفوق قوة أي ملكية على وجه الأرض، وهذا لم يتأتى إلا بعدما أصبح كل الشعب الأمريكي على ولاء حقيقي لحكومته الوطنية[139].هذه أخلاقيات البرغماتيين (الذرائعيين) الذين يعتبرون النجاح هو المعيار الوحيد للحقيقة، لذلك يستند رويس إلى ما قاله أستاذه (وليام جيمس

---

[137]- المصدر نفسه. ص 134.

[138]- جوزايا رويس، فلسفة الولاء، مصدر سابق، ص 134,

[139]- المصدر نفسه، ص 135,

والذي آمن بها بعد أن أوجدها زميله بيرس وقد تسللت أفكارهم حتى أصبحت عماد الفلسفة الأمريكية المعاصرة.

في مقابل ذلك يري ديوي أن الافتقار إلى مواد ثابتة للولاء، يضع الأفراد بدونها في وضع الأحرار فالتحرر في الماضي أو ما يسمى بالليبرالية، كان يتمايز بامتلاك عقيدة ومنهاج فكري محدد، تميزه عن باقي الأحزاب المحافظة التي لم تكن بحاجة إلى نظريات مرسومة تتعدى الدفاع عن الأشياء القائمة، وبالتالي فهي تفتقد إلى ما تتطلع إليه، أما نتائجها الاجتماعية فليست أقل من مأساة لا تحس بها الجماهير تماما، أما المفكرون فينزعجون منها بصورة واعية لان الطبيعة الإنسانية لا تمتلك أمرها إلا إذا كانت هناك أهداف تربط نفسها بها، فبقيت نظريتهم مربوطة بولاء قديم دون أن تعطيهم نظاما ومركزا جديدا[140]، وتحتفظ أكثر الشعوب تخفضا بولاء رعاياها، ويكون هذا بزرع مثل وقيم الطاعة والتضامن والولاء العام المشترك لقضية عامة.

4-5-من الولاء الى التأويل:

يرى "رويس" أن الولاء في ذاته خير أسمى بغض النظر عن القضية التي تتخذها موضع ولائك، ومع ذلك فمن وجهة نظر الحياة الكلية ينبغي تحديد حقيقة ولاء الانسان، ففي راي "رويس" لا بد ان يكون شيء مما ينسق أكثر من حياة واحدة في وحدة، فما يستحق من الانسان ولاءه ينبغي أن يكون شيء يحتفظ له بذاتيته المستقلة من ناحية، ويدمجها في ذات أعلى منها من ناحية أخرى فيقول: **"إن العلاقة بين أي شيئين أو شخصين أو عقلين، يستحيل ان تكون تامة التناغم والاتساق، لأنه سيحدث بينهما تضارب في المصلحة أو احتكاك يؤدي الى التنافر، ونواة الجماعة المتسقة هي الثلاثة لا الاثنان، ففي الثلاثة يمكن للشخص الثالث أن يزيل ما قد يحدث بين اثنين من سوء واختلاف وتضارب"**[141]، وعلى ذلك فنوات المجتمع ثلاثة، وهو يسميه مجتمع الثالوث بمجتمع "التأويل" لأنه قائم على أساس

---

[140]- جون ديوي: الفردية قديما وحديثا، ت، خيري حماد، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان، ص58.

[141]- زكي نجيب محمود، حياة الفكر في العالم الجديد، المرجع السابق ص 110

العضو الثالث يؤول أو يفسر لكل من الاثنين الاخرين قصد زميله حتى لا يقع بينهما خلاف، ويسميه أيضا "مجتمع الوساطة"، وفي الحياة أمثلة كثيرة لمجتمع الوساطة هذا خاصة في عالمنا المعاصر، فمثلا اذا قام في العالم معسكران يتقاتلان وقامت بينهما مجموعة العدل الدولية لتنهي القتال بينهما، فهذا مجتمع فيه وساطة، وقد علق "رويس" آمالا كبيرة على هذا المجتمع الثلاثي في استقرار الحياة الانسانية، لان الطرف الثالث يمنع الشحناء والتصادم بين الاثنين، فكأنما يصبح الثلاثة حياة واحدة، ويكون ولاء الطرفين المتشاحنين للطرف الوسيط، ثم ولاء هذا الوسيط لفكرة الولاء ذاتها[142]، وبالتالي كان هذا الولاء الذي يدمج مجموعة الافراد في حياة واحدة هو القمة التي انتهى اليها رويس في فلسفته المثالية ، حتى وان كانت فكرة الثالوث قد اقتبسها من الدين المسيحي ولأنه متأثر به أيما تأثر.

إن تحقق الولاء كاملا، فلا يمكن برأيه، إلا من خلال التضحيات التي يقوم بها الفرد لخدمة القضية، إضافة لهذه الوسائل التي طرحها في مؤلفة فلسفة الولاء، هنالك وسيله أكد عليها في كل مؤلفاته هي تربية جيل يزيد فيه عدد من يمتلكون البصيرة الخلقية، فما قصده بهذه البصيرة وما عملها؟ البصيرة insight جمعها بصائر، وهي قوة الإدراك والفطنة وهي مشتقة من البصر إلا أنها أهم وأدق وأشمل وأوسع منه، هي قوة خفية أو ملكة وهبها الله للإنسان لأدراك حقائق الأشياء أو الجوانب الخفية من الموضوعات والبصيرة لغة هي الإدراك العقل، الدليل، الحجة. واصطلاحا هي انفتاح عين القلب، سعة الإدراك، وهي القدرة على النفاذ إلى كنه الأمور وخفايا المعضلات، وهي غير الحدس intuition فهي أعمق منه بكثير[143].

والبصيرة – بحسب رويس - هي اسم معين من المعرفة ولدرجة معينة منها، تمكن من إدراك مجموعه معينة من الوقائع وضمها في كل واحد، وفي الوقت نفسه، تجعلنا على علاقة وثيقة وشخصية بهذه الوقائع وبالكل الذي يضمها ويقول عنها بأنها القاضي الذي يحكم على أعمالنا ومثلنا العليا اما عملها فهو انها تعرف صاحبها، بمجرد اكتسابها، بأن مصيره لا يرتبط بذاته وإنما بالحياة من حوله أو بالحياة

---

[142]- المرجع نفسه، ص 111.

[143]- هبة عادل العزاوي، فلسفة المدينة الفاضلة وواقعية الفلاسفة المعاصرين، ص43.

المثالية،كما أن الإنسان بدونها لن يمارس الخيرية عن وعي ما دام مسجونا في إرادته الفردية، فأنه لا يمارس الخيرية عن مقصد ووعي واضح بها، وأن كان قد يمارسها بصورة غريزية الأمر الذي يجعله يعتمد على التقاليد التي غالبا ما تكون غامضة، وعلى الضمير الذي غالبا ما يكون متميزا أو قاسيا، وعلى أيمان غامض وعلى العاطفة التي تعد أسوأ أنواع وسائل الإرشاد[144].

فالبصيرة الخلقية تعلمنا وتهدينا إلى أن نقوم بالأعمال التي توافق الحياة الفردية والاجتماعية معا "قدم لنا العقل البصيرة الخلقية، ويصوغها الفهم العام الخلقي والفلسفي في القاعدة القائلة بان عليك القيام بالفعل الذي لا يمكن أن تندم عليه حين تراجع معنى حياتك الفردية والاجتماعية ولا على المبدأ الذي سلكت بناء عليه. والفعل الذي لا يمكن الندم عليه -بحسب رويس -هو الفعل وفق مبدأ الولاء. **فالبصيرة تعلمنا ألا نقول أحب لجارك ما تحب لنفسك فقط. بل تعلمنا القول أسلك كما لو كنت أنت وجارك شيئا واحدة، وانظر إلى حياتكما كما لو كنت تنظر إلى حياة واحدة**[145]. فهناك حجاب من الوهم يجعل من جارنا، على سبيل المثال، شيئا لا ذاتا، ووحدها البصيرة التي تساعدنا على التخلص من تلك الحالة وتجعلنا ندرك أنه ذات حقيقية كذاتنا. أننا نحتاج البصيرة لنرى الحياة بعامة وبصورة شاملة، لأننا من دونها نرى جزءا أو جانبا منها فقط.

---

[144]- هبة عادل العزاوي، فلسفة المدينة الفاضلة وواقعية الفلاسفة المعاصرين، ص44.

[145]-المرجع نفسه.

5-الولاء كآلية للتوفيق بين المذاهب الاخلاقية:

يعتبر رويس الولاء محور الفضائل كلها وروح الأخلاق العاقلة، وإذا تم قيام وحدة صحيحة بين الأخلاق ونظرية فلسفية عن العالم الواقعي؛ تحققت وحدة الدين بالحياة العملية. يعرف رويس الولاء بأنه التفاني الإرادي العملي المستمر من قبل فرد ما، تجاه قضية معينة، يعرف منها ما ينبغي أن يكون، وما ينبغي أن يقوم به من الأفعال، ولابد أن تتصف هذه القضية بالذاتية والموضوعية، وتضم أكبر عدد من الأفراد في رابطة واحدة.

والولاء ضروري لأنه يقضي على حالة التردد والحيرة الأخلاقية، ويحقق به الفرد الخير لنفسه، لأنه يكمن في معرفة الفرد لواجبه، ومثله الأعلى في الحياة. فالفرد لا يستمد خيره من الخارج، ولا يعرف واجبه منه، ودائما ما يلجأ إلى الداخل لاستشارة إرادته العاقلة. ولكن عندما يفتش في ذاته، لا يجد غير رغبات متغيرة ومشاعر مختلطة. وبالتالي فلا الخارج يرشده، ولا يوجد مثل أعلى مفطور في عقله، فيعود مرة أخرى للخارج للبحث عن واجبه، مقلدا النماذج الاجتماعية ومعتمدا على التدريب الاجتماعي. ولكن التدريب لا يعلمنا إلا الثورة على المجتمع، ولا يولد لدينا إلا الرغبة في التمرد. فنرتد إلى ذواتنا مرة أخرى نفتش فيها عن واجبنا. ولذلك لا أحصل من الداخل أو الخارج على ما يسمى خطة مستقرة للحياة إلا إذا كان بينهما وحدة راسخة، وحدة بين العالم الاجتماعي وعالم الذات، بين أسلوب الآخرين وأسلوبها. ولا يمكن أن يحدث هذا التوافق الاجتماعي إلا بالولاء[146]. وهذا يمثل قمة المثالية في فلسفة "رويس" الاخلاقية.

ونجد" رويس" بهذه الاخلاق المثالية الدينية الاجتماعية يقف موقفا وسطا من خلال فلسفته التوفيقية بين مذهبين متناقضين أي مذهب مطلقيه الاخلاق ونسبيتها ويعالج اشكالية الجدل التي طرحتها هذه المذاهب الا وهي اشكالية **ما أساس الاخلاق؟ أتكون مطلقة تصلح لكل إنسان في كل زمان ومكان؟ أم تكون**

[146]- زكي نجيب محمود، حياة الفكر في العالم الجديد، المرجع السابق، ص98.

نسبية تصلح لفريق دون اخر وزمان ومكان دون اخر؟، وقد ظهرت صورة اخرى وهي: أيكون مدار الاخلاق على اداء الواجب الذي يقتضيه المبدأ الثابت الذي لا يتغير، أم يكون مدارها على أساس النتائج المترتبة على الفعل؟ **وهل ما تترتب عليه السعادة يكون فضيلة وما يترتب عليه الشقاء يكون رذيلة؟** فبالبصيرة الاخلاقية استطاع "رويس" أن يوفق بين هذه المذاهب الاخلاقية المختلفة، بجعله الاخلاق مطلقة ونسبية في نفس الوقت[147]، لان الفرد أو الجماعة قد يتصرف وفق ما تفتضيه الظروف وهذا هو الجانب النسبي لكن على شرط أن تتكون هذه الاخلاق من مختلف الارادات ومتضاربة في الاتجاهات والرغبات على نسق تتكون منه حياة كونية واحدة وهنا الجانب المطلق[148]. كذلك استطاع "رويس" أن يوفق بين أن يكون أساس الاخلاق هو طاعة المبدأ وأن يكون اساسها هو النظر الى النتائج، بان يجعل الفرد الواحد او الجماعة الواحدة تتصرف على مبدا أخلاقي تصرفا يجعل نتائج ذلك التصرف عند الافراد المختلفين او الجماعات متسقة وغير متضاربة.

يقدم لنا "رويس" أمثلة كثيرة وطويلة عن التضحية والاخلاص والتفاني للروح، من أجل قضية معينة تقوم بخدمتها، وأن هذه الروح هي الروح التي تدفع الشهداء للتضحية بأنفسهم، وتظهر لدى الاباء والامهات حين يضحون بكل شيء من أجل أسرهم، وتدفع العشاق للنطق بالكلمات الابداعية الرائعة، كما تتمثل هذه الروح أيضا في الاخلاص للعلم ، مثلما فعل "نيوتن" و"ماكسيويل" و"داروين"، ويعتبرها مثالا رائعا لهذه الروح ودرجة كفاحها، من أجل موضوع مثالي، ورغبة في مواجهة المجهول وحوادثه، ومثالا عن التخلي عن المتعة اللحظية، والسعي للخبرات التي تحتاجها البشرية ن ان هذه الروح تظهر عن الجميع فهي عند المحارب وعند العاشق والاب والام والمواطن والشهيد ورجل العلم، فيخدم الصابرون طوال حياتهم أشياء لا يرونها[149].

---

[147]- المرجع نفسه، ص99.

[148]- المرجع نفسه.

[149]- رويس جوزايا، مصادر البصيرة الدينية مصدر سابق، ص132،133.

هذه الروح تطالب الفرد بالقيام بواجبه، فلا تبحث عن الثروة أو المجد، بل تتمثل في الهزيمة أحياننا، فيقدم لنا "رويس" مثال عن "نيوتن" حين فشل في اثبات نظريته عن حركة القمر والزمن ، واستمر في عمله بصبر ودون تسرع، حتى توصل الى البرهان عليها، و كل هؤلاء المثابرون اكتسبوا روحا جعلتهم سادة حياتهم، ووحدتهم في الوقت نفسه مع كل النفوس، ومع كل حياة انسانية مخلصة[150]، وما يمكن استنتاجه، ان هذه النفوس المخلصة، تكشف أنه مهما كانت هذه النفوس بسيطة ومحدودة التفكير، وليست على درجة كبيرة من الوعي فقد تعلمت أن تحي هذه الحياة المخلصة، وتحتاج منا الى التأمل في الدوافع التي دفعتهم الى هذا الاخلاص أو الولاء للولاء.

وهنا يمهد رويس للحل الحقيقي والمثالي في فلسفته الا وهو البصيرة الدينية ومثالية الجماعة الكبيرة والكنيسة اللامرئية والذي سنتطرق اليه بالتفصيل في مبحثنا القادم، **لكن ما هو الفعل الذي يمكن لذاتي أن تتحقق بالفعل من خلاله؟**

بحسب رويس أنه الولاء Loyalty ولا شيء غير الولاء، مع الولاء يمكن للإنسان أن يجد حياته، إرادته، فرصته لتحقيق ذاته، واكتمال وجوده، فما هو الولاء؟ الولاء اسم بمعنى القرب أو النصرة أو المحبة أو الطاعة أو الإخلاص وفي اللغة هو مصدر المولى والموالي، أي اتخاذ المولى وللولاء أنواع منها السياسي والشرعي والوظيفي والتنظيمي. أما تعريف رويس له فجاء على مرحلتين الأولى عرفه تعريف أولية بالقول أنه «**التفاني الإرادي والمستمر من افرد ما تجاه قضية معينة**[151]» والقضية - بحسبه - هي ما «يوجد كثيرا من الحيوات الإنسانية في حياة واحدة» وفي مرحلة لاحقه عرف رويس الولاء بأنه «**إرادة الاعتقاد في شيء أبدي والتعبير عن هذا الاعتقاد في الحياة العملية لكائن إنساني**[152]»، ومن منطلق المفكر الموضوعي اعترف رويس أن كلمة الولاء قديمة، والفكرة العامة عنه أسبق زمنيا من الكلمة

150- المصدر نفسه، ص182.

151- هبة عادل العزاوي، مرجع سابق، ص36.

152- المرجع نفسه.

نفسها بل وأكثر قيمة، وأن القليل من يعرف معناها الحقيقي أن بداية الولاء مع بداية الحضارة الإنسانية، بدأ تأثيره منذ عقدت أول مجموعة متحاربة أول هدنة مؤقتة لوقف القتال، فكانت النسبية العاقلة منهم هي التي وضعته[153].

يصرح رويس أن فلسفته في الولاء تقدم نظرية عن نوع معين من الوعي، يؤدي تماما، وظائف الضمير التقليدي نفسها، ويؤكد أن النظام الأخلاقي يمكن أن يؤسس ويقوم عليه، ذلك أن العدالة والمحبة، والحكمة والواجب والحياة الروحية كلها مصطلحات يمكن أن تكون قابلة للتعريف في ضوء مفهوم عقلي له. وأشار لنا بأنه ليس فطري ولا مكتسب عندما قال: «**لا يمكن لنا اكتسابه، إلا إذا كان لدنيا استعداد فطري نحو المعقولية**[154] وكيفية ذلك ستتضح في سياق البحث.

عد رويس الولاء رأس الفضائل، والواجب الرئيس بين كل الواجبات، وروح الأخلاق العاقلة لماذا؟ يجيب لأن به يستطيع الإنسان الخلاص إذ يوفق «بين قول الأخلاقيين بالأفعال طريقا للخلاص وقول المؤمنين بالفضل الإلهي لذلك كان جوهره -بحسب رويس - عقيدة ودينكما إنه يقدم حلا لأصعب مشكلات الإنسان العملية، مشكلة لأي شيء أحيا؟ ولماذا أنا هنا؟ ولماذا أفعل الخير؟ ولماذا هناك حاجة لوجودي[155]؟

والسؤال هنا كيف ذلك؟ وما هي مهمة الولاء التي يتسم بتلك السمة؟ أننا مخلوقات الدوافع والأهواء والرغبات المتصارعة، لذلك يجب أن يكون هدفنا الأعلى في الحياة هو الانتصار على فوضى الطبيعة وتحقيق الوحدة لرغباتنا والوصول للسلام ، ويتم ذلك من خلال تمسكنا بقضية ما، يمكن أن تعمل على تحقيق ذلك الانسجام بين البشر، قضية نهبها كل ولائنا، ذلك أن أي إنسان -بحسبه –" **إن لم يخترقضية يخدمها لم يصل بعد إلى العقلانية أو إلى ذاته العاقلة، ولا يمكن وصفه بأنه كائن أخلاقي"**[156].

---

[153]- هبة عادل العزاوي، مرجع سابق، ص36.

[154]- المرجع نفسه، ص37.

[155]- المرجع نفسه.

[156]- المرجع نفسه، ص38.

ويرى أن «اللعب النظيف في الرياضة، واحترام روح الشجاعة في الحرب، والتسامح تجاه المعتقدات الصادقة لدى الآخرين، كلها قضايا، وفضائل تعد صورا متغيرة ومتعددة للولاء»، إلا أنه فضل أن يتمسك الإنسان بقضية واحدة، قضية أسمى، يمكن أن توحد البشر من جهة، وتكون جامعة لكل صور الولاء الأخرى، قضية نختارها بأنفسنا، لاسيما وأن القضايا التي تختارها التقاليد أو يختارها المجتمع قد اتوصل إلى صراع الولاءات. القضية التي نصحنا" رويس" التمسك بها هي قضية -الولاء للولاء نفسه، يقول عن هذه القضية أنها ذاتية طالما تخصني وتخص أناسا آخرين، وغير شخصية في الوقت ذاته، إذ ما نظرنا لها من وجهة نظر إنسانية بحته، ذلك أنها تربط نفوسا إنسانية عدة في وحدة اجتماعية عليا[157]. وكان يرى أن أسوأ المعارك التي يمكن أن يواجها الولاء، ومن أكثر شرور الإنسانية ومصائبها. هو أن تسلب ولاء الآخرين -صراع الولاءات-ويمكن التخلص من ذلك الصراع -بحسب رويس -وتحقيق أكبر قدر من الانسجام بالتالي:

أن حصل واخترنا قضية تضمنت نوعا من عدم الولاء للولاء، كالإخلاص لقائد اكتشف فيما بعد خيانته للقضية الإنسانية، أو أن أعرف عدم قدرتي على أن أكون كاتبا جيدا، أو حارسا ناجحا، فيحق الي ترك القضية التي اخترت الولاء لها، ذلك أن تبديد طاقتي، في عمل لا يناسبني، يعد نوعا من عدم الولاء للولاء، وينصح رويس بان لا تتخلى عن قضية إلا من أجل ولاء أعلى، وأكثر عمقا يتطلب بالفعل ذلك التخلي[158]. كما يقدم رويس حلال للمشاكل السياسية من خلال مفهومه الولاء المحلي، فبالرغم من وجود صراعات بين العديد من الولاءات، والتي عادة ما تؤدي هذه الصراعات الى ضياع الحقوق وتدمير ولاءات الاخرين، يدعو رويس الافراد في هذه الحالة الى تحقيق ولاء المقاطعات أي المجتمع المحلي وتحقيق الصالح العام لها، ومن ثمة يتحقق الولاء للوطن نفسه، وللمجتمع العالمي الذي يهدف الى تحقيقه[159].

---

[157]- هبة عادل العزاوي، فلسفة المدينة الفاضلة وواقعية الفلاسفة المعاصرين، ص39.

[158]- المرجع نفسه.

[159] - Josiah Royce, The Hope of the Great Community ,New York, The Macmillan Company, 1916, p 10 .

قد تطرح مسألة الولاء سؤالا ملحا مفاده، **هل أن رويس ألغي الفردية لصالح الغيرية؟** بالتأكيد لا، فكما سبق وأشرنا، أن ذاتنا الفردية الا تتحقق إلا به. كما أن رويس يؤكد أنه من أصحاب النزعة الفردية في الأخلاق وبالتالي لا تتصور أنني أسعى لإقامة نوع من الحياة الخلقية العامة، بوصفها مثلا أعلى مضادة للنزعة الفردية المعارضة للولاء. وفلسفة رويس في الولاء ليست نظرية بل عملية، ويعطينا مثالا على ذلك ما حدث لليابان في عصر الإصلاح الحديث عندما تحولت الولاءات القبلية إلى الولاء للأمة، وانتشار المثل الأعلى[160]؛ ما جعل ذلك التحول السريع والرائع لليابان نتيجة تحقيق الوحدة في روح الأمة.

يصف رويس الولاء بالعقلانية، ويؤكد أنه ليس هبة ارستقراطية تخص قلة من الناس، هو يشمل المتعلم وغير المتعلم، الغني والفقير. وأن كان يبدو عند القلة اليوم فذلك، بحسب رويس، يرجع إلى التربية الأخلاقية الحاضرة، وإلى النظام الاجتماعي الذي أهمل التدريب عليه وقلل من شأنه، لذلك نجد فيلسوفنا قد بادر بطرح الخطوات التي يمكن أن تساعد في زرعه عند الناس. على الرغم من قوله إن الولاء ينتقل بالعدوى، ولا يصيب المشاركين معك في القضية فقط، وإنما ينتقل لكل من يعلم به، فهو خير ينتشر في كل الاتجاهات، وأن تمسكنا بالولاء الجاد لقضايانا هو الكفيل بنقل تلك العدوى، يقول بعملك وتأثيرك وحبك للولاء يمكن أن تعمل على انتشاره بين الناس، نقول على الرغم من قوله هذا، إلا أنه طرح لنا الخطوات التي يمكن أن تساهم في انتشاره في المجتمع، وطالب الدولة والعلم والفن بالذات للمساهمة في مهمته تلك خاصة وأنه يؤكد بأننا كنا وما زلنا كائنات ناقصة عمياء[161]. إذ يقدر الأطفال ولاءنا تجاههم، بعد ذلك يتعلمون واجبهم الخاص بهم. في المرحلة التمهيدية يمكن غرسه بتعليم الأطفال المحبة والطاعة والاهتمام المستمر بأنشطة معينة والقدرة على الصبر والتحكم الذاتي.

يقدم لنا الأطفال صورة أولية للولاء من عالم خيالهم عندما يمثلون دور الإبطال أو يحلمون بالأعمال العظيمة ... وكل ما علينا الاهتمام بتلك الصورة

---

[160]- هبة عادل العزاوي، مرجع سابق، ص40.

[161]- هبة عادل العزاوي، مرجع سابق، ص41.

وترسيخها فيهم، في مرحلة الشباب، ينخرط الشباب في نشاطات معينة -كحياة الأخوة في المدارس والفرق الرياضية. وهنا يجب تعزيز روح الولاء لتلك الحياة وتجنب أي مفاسد يمكن أن تحدث فيها[162].والتدريب على الولاء في مرحلة النضج يمكن أن يكون من خلال التأثير الشخصي للقادة، ومن خلال عملية تحويل القضية إلى مثل أعلى -تعقيل القضية وتقليل الغربة التي يشعر بها الناس تجاه نظامهم الاجتماعي. والتأكيد على ما أسماه -بالروح الريفي -لدى الناس، أي تربية أبناء ولاية ما على تقديس العادات والتقاليد[163].

تعقيب:

إن اعتبار"رويس" للأنا الخلقي بأنه هو الذات الحقة للفرد، وأن الأخلاق تعد المحور الأساسي لكل مجالات الحياة، ولئن كان للأخلاق حقيقة جانبها العملي، إلا أن رد كل شيء إلى الأخلاق، يعد إغراقا في التصوف، وبعد عن جوانب الحياة، كما أن المبالغة في القول بأن الخلق المستمر ما هو إلا خلق للأخلاق، يجعل من الإنسان مجرد لحظة عابرة يبحث عن ذاته فلا يجدها. كما نجد غيابا كاملا للمشكلات العملية التي تواجه الإنسان وتحط من شأنه وتهدم كيانه، كالقهر والظلم والبطالة، وأهمل أيضا قيمة العمل لإثبات قيمة الإنسان، حقيقة أنه قال بالتعاون، لكي يستمد الأنا حريته وتفرده إلا أن هذا التعاون جاء لخدمة المجتمع والمطلق وليس لخدمة الإنسان كفرد، أما الحرية التي تكلم عنها في حرية نظرية أكثر منها عملية، حرية مستمدة من المنطق أو الخيال، أو من قيمة غيبية صوفية. كما ندين لرويس بنظرية النظام التي كان قد تنبأ بها في مبادئ المنطق التي ستكون العلم الأساسي لفلسفة المستقبل، كما انه من بين اكتشافات رويس المرتبطة بهذه النظرية فكرته عن السلاسل اللامتناهية ونسقه، هو إسهامه الشخصي في نظرية الدلالات"لبيرس"حيث يقول أحد طلابه المتميزين يسمى "ك، إ، لويس"في هذا الصدد **"بأنه يحوي محتملات جديدة للنظام والتي لا نشكك في وجودها"**[164].

---

[162]- المرجع نفسه، ص42.

[163]- المرجع نفسه.

[164]- جيرار ديلودال: الفلسفة الأمريكية، مرجع سابق، ص 255.

نجد أن رويس قد عالج إشكالية الأخلاق بمنظور ديني خاصة في مشكلة العدالة الإلهية وتفسيروجود الشر، ورغم استخدامه لمصطلح "ليبنز" الفلسفي عن العدالة الإلهية إلا أنه قصد به المسألة الدينية، كما أن مناقشته لإشكالية الحرية الأخلاقية للإنسان لم تكن كما ناقشها كانط من حيث العلاقة بين الذات الأخلاقية وخضوعها لمبدأ الواجب والذي تتصف قواعده بالمعقولية والتجريد والشمول والانسانية، بل تنازلها بمنظور أقرب للمنظور الديني أي من حيث علاقة الله بالإنسان. إلا أن معالجته لمشكلة الشر جاء مدخلا دينيا، يفترض الإيمان قبل العقل، أو"أومن ثم أعقل"، فنجده قد اختار مشكلة النبي أيوب عليه السلام مثلا في مناقشة الشرور غير المستحقة في العالم. حيث يتم نقل التساؤل من المستوى الخاص إلى المستوى العام، حتى يتم صبغ التساؤل بصبغة فلسفية، فحتى التساؤل في حد ذاته يفترض الإيمان المسبق بوجود خالق للكون.

كما يظهر الاتجاه الديني في الأخلاق في اعتبار "البصيرة الخلقية" بداية "للنور الخلقي"، ويظهر الحدس الخلقي، ويقدم للوعي المثل الأعلى، الذي يفض صراع المثل العليا من هنا يصبح المظهر المفاجئ للبصيرة الدينية، شبيها بمظهر الوحي عبر التاريخ كوسيلة للخلاص والتطهر، وانتقال العالم من الظلام إلى النور ومن الشكوك إلى اليقين[165].

من الواضح إن"رويس" في تعريفه للنفس سعى لحل الإشكالية الكانطية حول مفهوم الأنا، فوحد بين الأنا الذي يسلك والأنا الذي يعرف أو بين العملي والنظري، بين الأنا العارف والأخلاقي، إلا أنه لم يستطع إن يتخلص تما ما من الثنائية الكانطية فهناك الأنا التجريبي أو اللحظي والأنا المثالي فلأول حاضر والثاني غائب وبذالك تظل الثنائية متغيرة وثابتة وواضحة في مفهوم الأنا.

لم يكن لفلسفة رويس التأثير البالغ والمماثل للذي أحدثته فلسفات بيرس وجيمس، لكن في مقابل ذلك عرف رويس أحيانا كيف يجذب إلى الفلسفة تلاميذه من جامعة كاليفورنيا وهارفارد، وكما اعترف بعض الفلاسفة المعاصرين وهم في

[165]احمد الأنصاري: فلسفة الدين عند جوزايا رويس، مرجع سابق، ص 202

الغالبية مثاليون، بالجميل بالنسبة لتلاميذ رويس، نجد أيضا أن هناك من عارض البعض منهم بصراحة المثالية من أمثال سانتيانا« Santayana» و مونتاغ« montague» والحقيقة أن تلاميذ رويس" لم يتبعوا أستاذهم بدقة، وإنما اتبعوا مسائله التي دمغتها فلسفة المنطق الرياضي، ومسألة الدين.حيث قاد الأولى تلاميذه إلى الذرائعية المنطقية المنبثقة من بيرس، والثانية كانت ولا زالت مكان لقاء لكل الفلاسفة المثاليين. وأخيرا وجد رويس في "غابريل مارسيل" gabriel« « marcelأن لم يكن احد تلاميذه فواحدا من أكثر مفسريه فطنة[166].

ولم يكن فكر "رويس" ناقدا للاتجاهات الفلسفية بالمعنى الكلاسيكي للكلمة، بل جاء نقده في مجمله -كما يرى دارسوه وتلامذته- في اطار مقاربته للفلسفة الامريكية البرغماتية، حيث ربط بين الخبرة العلمية والاتجاه العملي الذي يعد سمة مميزة للفكرالامريكي في القرن العشرين هذا من جهة، وبين الهدف الثابت والمستمر للبحث عن وحدة أساسية تضم كل الاشياء من جهة اخرى، فأدرك بذلك "رويس" المعنى الصحيح للروح العملية، مضيفا لها بعدا أخلاقيا محاولا تطبيقه في فلسفته المثالية النقدية الجديدة، واضعا في اعتباره المحافظة على موقفه النقدي، وتحقيق نوع من التوفيق بين الموقف الكلي الشامل للأشياء، وبين التأكيد على جوانبه العملية لهذه النظرة.

[166]Gabriel Marcel: la Metaphysique de Royce(paris: Aubier. edition montaigne. 1945). p 130

خاتمة

ويمكن في الأخير أن نوجز خاتمة هذا الكتاب في عدة نقاط كما يلي:

ينظر "رويس" الى الاخلاق نظرة اجتماعية لا فردية، فمثلا اذا طالبت جاري بحقوق وطالبني بحقوق، فما ذلك الا قطرتان من محيط واحد، واذا حقق كل منا للأخر حقوقه؛ فما ذلك الا تعبير عن الاتساق بينهم، فليست الغاية في الحياة الاخلاقية أن يخدم بعضنا بعضا باعتبارنا أفرادا، بل غايتنا هي توحيد الكثرة في واحد، وتنسيق التضارب والاختلاف في كل متعاون، فقد ينصرف أحدنا الى تقديم العلم، وينصرف الاخر الى عالم الفن، وينصرف الثالث الى الخدمة السياسية، فما يفعله هؤلاء ليس من اجل أنفسهم بل من أجل الوحدة الكلية العليا التي تحتويهم جميعا، وتستخدمهم جميعا لتحقيق إرادتها الكلية الواحدة.

الحقيقة أن فلسفة رويس الخلقية جاءت تطبيقا لمنهج الشك الديكارتي، وان كان الشك جوهر الحقيقة فهو جوهر الأخلاق، فعرض"رويس" لصراع المثل العليا بين المذاهب الخلقية الواقعية والمثالية، وعدم صلاحية المبدأ الخلقي الواحد الذي ترد إليه جميع الغايات الخلقية، وأن مثل هذا الصراع ينتهي إلى الشك والتشاؤم الأخلاقي، ومثلما استنبط ديكارت "**الأنا يفكر في الشك**، "استنبط "رويس"**الأنا الخلقي**"أو الحدس الذي يظهر في الرغبة في التوحيد بين الغايات المتصارعة، ومن هنا ينقل "رويس" الشك من المجال الوجودي إلى المجال الأخلاقي، فإن كان الشك دليلا على وجود الذات، فإن الشك الأخلاقي دليل على وجود البصيرة الدينية.

حاول رويس من خلال فلسفة الولاء عنده ، أن يحقق الانسجام في المجتمع، وطرحه لمبدأ الولاء من أجل الولاء، مكن فلسفته من أن تحتل مكانتها بين فلسفات الحوار الأخلاقية المعاصرة، بل إيجابية أخرى، وأن تكون في الصفوف الأولى، ولفلسفة رويس الأخلاقية سمة إجابيه اخرى لا تقل اهمية عن كل ما طرحنا من سماتها، تتجلى في محاولاتها التنسيقية والتوفيقية، فإضافة لما طرحناه في سياق البحث من تلك المحاولات، نجد أن فلسفة رويس الأخلاقية قد عملت على التوفيق

بين المثالية والفلسفة البراغماتية التي ولدت ونشأت في أحضانها عندما لم تقتصر على التنظيروطرحت مبدأ الولاء العملي ومن خلال ذلك المبدأ ذاته، انتفى التعارض الأخلاقي القديم بين كون الأخلاق نسبية أو مطلقة. فلكل فرد الحرية في اختيارقضية الولاء التي يرغب من جهة، وعلى الجميع الالتزام والإخلاص لتلك القضية من جهة أخرى، فمن خلال مبدأ الولاء لم يعد الإنسان مجبورا لإطاعة سلطة خارجية أو داخلية، بل يكون كمن توجه للخارج بحثا عن قضيته ثم عاد إلى ذاته ليطيعها، ومعروف أنه يتبع خطوات "كانط " مع استبدال بسيط لمبدأ الواجب بمبدأ الولاء.

وبذلك يمكن القول أن "رويس" لم يستطع التخلص من النقيصة التي يعاني منها الفيلسوف المثالي، فلا يعتبر جوزايا رويس ناقداً بارزاً لدى دارس الفلسفة الأمريكية فقط، وإنما لكل من يبذلون محاولات جادة لحل المشكلات الرئيسية في الفلسفة، فقد ربط بين الخبرة العملية والاتجاه العملي الذي يعد سمة مميزة للفكر الأمريكي في القرن العشرين، وبين الهدف الثابت والمستمرللبحث عن وحدة أساسية تضم كل الأشياء، أدرك المعنى الصحيح للبرغماتية، وحاول تحقيقه في مذهبه الفلسفي، واضعاً في اعتباره المحافظة على موقفه النقدي، وتحقيق نوع من الموازنة بين النظرة الشاملة والكلية للأشياء، وبين تأكيد الجوانب العملية لها. حيث يعتبر رويس" قائد الحركة المثالية الجديدة في الولايات المتحدة الأمريكية، كما أنه إحدى المؤثرات التي تأثربها وليم جيمس، ووصف بالرمز الخطيرلفلسفة المطلق الأمر الذي جعل جيمس ينبه إليه وإلى ضرورة مواجهته ومواجهة نظرياته الاخلاقية التي كادت ان تقضي على الفكر البرغماتي.

إن الهدف الأساسي عند"رويس" من فلسفته الأخلاقية هي الدفاع عن المطلق والدين المسيحي بصفة عامة لأن فلسفته لم تكن فلسفة أمريكية خالصة بل لها جذور المانية، فقد كانت فلسفة كانطية في أصولها قائمة على فكرة الواجب الأخلاقي، وروحها هيجلية من خلال مطلق هيجل.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر باللغة العربية:

1. **القرآن الكريم**
2. رويس جوزايا، الجانب الديني للفلسفة ت احمد الانصاري، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2009.
3. رويس جوزايا، العالم والفرد، ج1، ت أحمد الانصاري، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2008.
4. رويس جوزايا، العالم والفرد، ج2، ت أحمد الانصاري، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2008.
5. رويس جوزايا، روح الفلسفة الحديثة، ت أحمد الانصاري، المجلس الاعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2003.
6. رويس جوزايا، فلسفة الولاء ترجمة أحمد الأنصاري المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ط، 1 2002.
7. رويس جوزايا، مبادئ المنطق، ت، أحمد الأنصاري، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط، ط1، 2008.
8. رويس جوزايا، محاضرات في المثالية الحديثة، ت، احمد الأنصاري، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، ط1 2006.
9. رويس جوزايا، مصادر البصيرة الدينية، ت، احمد الأنصاري، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2008.

المصادر باللّغة الأجنبية:

1. Josiah Royce, Race Questions, Provincialism, and Other AmericanProblems, the MacMillan Company, New York 1916.
2. Josiah royce، studi of good and evil, archon books, hamen connsticut, u.s, 1898.
3. Josiah royce، the conception of good, the Macmillan, hamen connsticut, u.s,1902.
4. Royce Josiah، , a study American character, Houghton, Mifflin and co, Boston and, New York, 1886.
5. Royce Josiah ,the Conception of Immortality, Houghton, Mifflin and Co., Boston and New York, 1900.
6. Royce Josiah: The Hope of the Great Community, New York, The Macmillan Company, 1916.
7. Royce Josiah، philosophy du loyalisme، trad. de jacqueline morot-sir, paris, aubier, 1946 .
8. Royce Josiah، The Problem of Christianity، part I، A Gateway Edition،Henry Rgnery Co، Chicago, 1968.

المراجع باللغة العربية:

1. أبراهام وولف، فلسفة المحدثين والمعاصرين، ت أبو العلاء عفيفي، لجنة الترجمة والتأليف والنشر، القاهرة، ط 2، 1936.
2. إبراهيم أبو بكر، الاسس النظرية للسلوك الاخلاقي، منشورات جامعة قار يونس، 1995.
3. أحمد الأنصاري، فلسفة الدين عند جوزيا رويس، مركز الكتاب للنشر مصر 2004.
4. أندريه كريستون، المشكلة الأخلاقية والفلاسفة، ت عبد الحليم محمود، مطابع دار الشعب، القاهرة، 1979.
5. إيمانويل كانط، أنطولوجيا الوجود، ت جمال محمد أحمد سليمان، دار التنوير،2009.
6. إيمانويل كانط، مشروع السلام الدائم، ت عثمان أمين، *مكتبة الأنجلو المصرية*، القاهرة، *ط1*، *1952*.
7. تشارلز موريس:رواد الفلسفة الأمريكية، ت ابراهم مصطفى ابراهيم، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 1995.
8. توفيق الطويل، فلسفة الاخلاق نشأتها وتطورها، ط3، دار النهضة العربية، 1976.
9. جون ديوي: الفردية قديما وحديثا، ت، خيري حماد، منشورات دار مكتبة الحياة، د ت ط، بيروت لبنان.
10. جيرارد دبليو دال: الفلسفة الأمريكية، ت جور تورة، إلهام الشعراني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2009.
11. حسن حنفي، التراث والتجديد، دار المعارف الجامعية، الإسكندرية، د ت ط.
12. زكرياء ابراهيم: المشكلة الخلقية، مكتبة مصر، د ت ط،

13. زكي نجيب محمود، *حياة الفكر في العالم الجديد*، *دار الشروق* القاهرة، د ت ط

14. صلاح سالم، المشترك التوحيدي والضمير الإنساني، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط1، 2011.

15. فردريك كوبلستون، تاريخ الفلسفة، ت: محمود سيد أحمد، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط،2009.

16. محمود حمدي زقزوق، مقدمة في علم الاخلاق، ط3، دار القلم، الكويت، 1931.

17. مراد وهبة، المذهب عند كانط، ت نظمي لوفا، المكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، 1979.

18. مصطفى عبده، فلسفة الاخلاق، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1999.

19. هاني المغلس، الطاعة السياسية في الفكر الإسلامي: النص والاجتهاد والممارسة، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، هرندن فرجينيا، ط1، 2014.

20. هبة عادل العزاوي، فلسفة المدينة الفاضلة وواقعية الفلاسفة المعاصرين، الطبعة الأولى، لبنان/كندا، 2016.

21. وليم كليرايت، تاريخ الفلسفة الحديثة، ت محمود سيد احمد، التنوير للطباعة والنشر بيروت لبنان، ط1 2010.

22. وليام ليلي، مقدمة في علم الاخلاق، ت على عبد المعطي، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2000.

المراجع باللغّة الأجنبية:

1. Aaron Lawrence Britter, on the concept of sin in theology of liberation and Josiah Royce the problem, the University of Oregon, 2012.
2. David W. Roddick, Gabriel Marcel and American philosophy, Lanham Boulder, New York, 1966.
3. Gabriel Marcel: la Metaphysique de Royce(paris: Aubier. edition montaigne. 1945.
4. Hegel, Lectures on the Philosophy of Religion", edited by Peter C. Hodgson, translated by R.F.Brown, P.C.Hodgson and J.M. with the assistance of H.S.Harris, University of California Press published 1988.
5. John smith and William klueck, Josiah Royce, selected writing, paulist press, new york, 1988.
6. Kant Immanuel , religion within the limits, of reason alone,tr, T m Greene and H.H. Hudson, Chicago,th open court publishing company, 1934.
7. Ritchard Rorty, justice as a larger loyalty in Richard Rorty: critical dialogue.
8. Robinson, d. S., Royce's logical essays: logical essays compiled for Josiah Royce. Dubuque Iowa, WC Brown, ed. State University of New York Press, 1951 .
9. Royce Josiah ،William James and other essays on the philosophy of life، The Macmillan Co، New York, 1911.

المعاجم والموسوعات باللغة العربية:

1. ابن فارس، معجم المقاييس في اللغة، دار الفكر، د ت ط، بيروت لبنان.

2. ابن منظور: "**لسان العرب**"، المجلد الرابع، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د ط، 1988.

3. جهاد زيدان، محاضرات في أخلاقيات الولاء، مجلة الاستغراب، المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية، بيروت، العدد الرابع، 2016.

4. مصطفى حسيبة، المعجم الفلسفي، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، عمان،2009.

5. عبد الرحمن بدوي: الموسوعة الفلسفية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1984.

الفهرس

مقدمة 7

1 -رويس سيرة فكرية 15

1-1- قراءة في مؤلفات رويس الفلسفية 15

1-2-رويس والفلسفة العملية: 23

2-اشكالية الاخلاق المثالية: 27

2-1--وجود الشر: 27

2-2-فكرة الله: 30

2-3-الحرية الأخلاقية: 32

2-4-البناء الخلقي للعالم: 36

3-الفلسفة الأخلاقية لجوزايا رويس 40

3-1- صراع المثل العليا: 40

3-2- الشك والتشاؤم الأخلاقي: 44

3-3- البصيرة الخلقية والتبصر الأخلاقي: 51

4 –أخلاقيات الولاء 55

4-1- الولاء كقيمة اخلاقية وميتافيزيقية: 55

4-1-1- طبيعة الولاء: 55

4-1-2-المفهوم الرويسي للولاء: 56

4-1-3-القيمة الأخلاقية للولاء: 60

4-2-ميتافيزيقا الولاء: 61

4-2-1-وحدة الحياة الروحية:.....62
4-2-2-الحقيقة والولاء:.....63
4-3-البعد القيمي للولاء:.....64
4-5-من الولاء الى التأويل:.....67
5-الولاء كآلية للتوفيق بين المذاهب الاخلاقية:.....70
تعقيب:.....76
خاتمة.....79
قائمة المصادروالمراجع.....81
الفهرس.....87